الزَّحفُ المدَنَّسُ

شِعري في نكبة الكويت

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

الزَّحفُ المدنَّسُ

شِعرى فى نكبة الكويت

الدكتور جابر قميحة

عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية

يطلب من



مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها حسن محمد وأولاده

٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الإهــداء

إلى الدماء الكويتية الزكية التي أراقها البعثيون
والصداميون ظلما وغدرا وعدوانا
وإلى الدماء العربية والمصرية التي امتزجت بالدم
الكويتي دفاعاً عن الوطن المغتصب المنهوب
وإلى شهداء « النعوش الطائرة » من أبناء الكنانة
الذين ذبحوابالعراق وشحنتهم بغداد إلى القاهرة
في صمت مريب .
إلى كل أولئك أهدي هذه الأشعار المتواضعة .

د . جابر قميحة

مقـــــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

من شهرين صدر لى ديوانى الشعرى الأول **«لجهاد الأفغان أغنى»** وهو الديوان الذى ضم بين دفتيه قصائدى عن أبطال الأفغان الذين يجاهدون فى سبيل الله، ويضربون أروع الأمثال فى التضحية والفداء. وهى قصائد نظمت أغلبها فى السنوات الخمس (١٩٨٤ـ ١٩٨٩) التى عملت خلالها بالجامعة الإسلامية العالمية باسلام آباد، وأحمد الله إذ لقى الديوان من الترحيب فى مصر والبلاد العربية مايشرح الصدر ويثلج القلب.

وها هو ذا ديوانى الثانى وكل قصائده عن نكبة الكويت بالعدوان العراقى الغاشم فى أغسطس الدماء والأعراض والنهب والقتل والتدمير.

وقد يقول قائل مالى أرى شعرك كله فى الديوانين شعر مناسبات، ألا تعلم أن «شعر المناسبات» من ألوان الشعر التى يضعها النقاد فى المركبة الأخيرة من قافلة الشعر؟

وأقول: «هذه هى الغلطة القاتلة التى تصاغ فى «معلومة» تحشر فى أذهان أبنائنا فى المدارس حشرا». أقول: هى غلطة شاعت بلا تدبر، لأن الناقد الحصيف لاينظر إلى القصيدة من خارجها، ولكنه ذلك الذى يعايش القصيدة موقفا وموضوعا وفكرا وتصويرا وتعبيرا ومشاعر وأحاسيس، يستوى فى ذلك أن تكون القصيدة تدور حول نكسة يونيو ١٩٦٧ أو انتصار أكتوبر سنة ١٩٧٣ أو فتيان الانتفاضة، أو تصوير آلام النفس فى تجربة خاصة.. ومن ثم ليس بالنقد ـالبصير أن نزرى بالقصيدة لأنها تدور حول

مناسبات ووقائع « خارجية » . وليس بالنقد البصير كذلك أن نجل القصيدة ونعظمها لأنها قصيدة « ذات » وعاطفة خاصة . المهم ما فى هذا اللون وماذا فى ذاك من فكر وفن .

ثم هل فى الشعر قصيدة بلا « مناسبة » ؟ الواقع يقول « لا » فكل قصيدة ــ واسأل تاريخ الشعر ــ تدور حول مناسبة ما ، أو موقف ما ، أو واقعة ما . وهذه المناسبة أو الواقعة قد يكون محورها ذات الفرد ، وقد يكون موضوعها خارج هذه الذات .. تاريخيا ... أو سياسيا ... أو اجتماعيا ... المهم أن يكون الشاعر « فى القصيدة » أيا كانت مناسبتها أو موضوعها أو الموقف الذى تمثله القصيدة . وهذا هو « معيار التقييم » الصحيح .. وهذا ما حاولنا أن نكونه فى هذه القصائد المتواضعة .. فى ديواننا « الزحف المدنس »

● ● ●

أما عن الزحوف فنها ما هو مقدس . ومنها ما هو مدنس ــ والزحف يكون مقدسا بقدر ارتباطه بالقيم الإنسانية العليا فى غايته وبقدر سلوكه الوسائل المشروعة التى تحترم قيمة الإنسان حتى فى لهيب الحرب وأتون المعارك .

وعلى النقيض من ذلك يكون الزحف « مدنسا » إذا كان خسيس الغاية . ليس وراءه إلا التخريب والتدمير والنهب والسلب وسفك الدماء ... وقد عرف التاريخ النوعين من الزحوف : المقدس والمدنس :

كان زحف المسلمين لفتح مكة زحفا مقدسا : لأن هدفه كان إنقاذ الإنسان المكى من أسر الضلالة ، وتحريره من الكفر والمهانة والذلة والضياع .. وأثناء الزحف المقدس حينما تأخذ الحماسة أحد القادة وهو سعد ابن عبادة فيهتف « اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا » . يرفض الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا المنطق ، ويعلن على رءوس الأشهاد ــ أثناء الزحف ــ « بل اليوم يوم المرحمة ، اليوم تصان الحرمة .. اليوم يعز الله قريشا بالإسلام » .

وحينما يصل الزحف المقدس إلى قلب الحرم ، ويطهر الكعبة من دنس الشرك ، يعلن الزاحف العظيم « العفو العام » « ... اذهبوا فأنتم الطلقاء .. » ويعلن بداية عهد إنسانى جديد ... « اليوم أذهب الله عنكم عبية الجاهلية ، وتعاظمها بآبائها . فالناس رجلان : برّ تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . زحف مقدس حقا فى أهدافه وغاياته ، ووسائله وطرقه ... فما أكرمه من زحف .

ومن الزحوف المقدسة زحف صلاح الـدين لتحرير القدس ، وزحف قطز لضرب التتار فى عين جالوت ، وبذلك أنقذ الشرق والغرب .. والإنسانية جمعاء من شرهم وبغيهم .

• • •

ومن الزحوف المدنسة زحوفات التتار التى كانت تحرق وتدمر الأخضر واليابس فى طريقها ، وتريق الدماء أنهارا ولا هدف لها إلا السيطرة والسيادة وتحقيق الأطماع ..

ومن الزحوف المدنسة زحوف الصليبيين ، الذين اتخذوا من « حماية قبر المسيح » شعارا لإراقة دماء مئات الألوف من المسلمين المسالمين ، بل إنهم ـ كما يروى التاريخ ـ وهم فى طريقهم إلى فلسطين كانوا ينهبون القرى الأوربية ، المسيحية ويهتكون أعراض نسائها ، ويدمرون ويحرقون من لا يمدهم بما يطلبون من طعام وخمر وشراب .

• • •

وجاء صدام حسين ليعيد « أمجاد الزحوف المدنسة فيجتاح بأشاوسه ونشاميه دولة عربية مسلمة مسالمة ... فكان زحفا مدنسا بكل المقاييس . هو زحف مدنس فى غايته : لأنه لا غاية له إلا الطمع فى ثروة دولة شقيقة ، وهو زحف مدنس فى وسائله لأنه ارتكب أبشع ما يرتكبه إنسان فى حق إنسان : إراقة الدم وهتك الأعراض وحرق المبانى ونهب الأموال والحوانيت ، وسرقة السيارات .. و ...

وهو زحف مدنس لأنه جاء في وقت كانت فيه جراح الأمة العربية تنزف بغزارة... وكانت إسرائيل تعربد في الأرض المحتلة بإجرام ووحشية، ومئات الألوف من المهاجرين من روسيا ودول الكتلة الشرقية يفدون إليها في موجات لا تنقطع.

كان هذا هو رأينا ومازال هو رأينا الذى طرحناه شعرا ونثرا من أول النكبة حتى الآن. أما التفصيل فأوثر أن أعرضه نقلا عما نشر في صحيفة «اليوم» السعودية يوم الجمعة ٣من أغسطس سنة ١٩٩١. أى بعد مرور عام على العدوان العراقي.

كتب/ المحرر الثقافي:

عام يمر على الأمة العربية.. والإسلامية والعالم أجمع.. عام امتلأ بالأحداث.. أبرزها وعنوانها الأول والأكبر حرب الخليج.. والعدوان العراقى الغاشم على الكويت المسالمة.. عام يترك بصماته واضحة على جدار التاريخ. وقسمات الوجه العربي.. وتحديدا الوجه الكويتي.. لقد ملأت أخبار الخليج كل الصفحات.. وقنوات الاعلام التلفزيونية ومحطات الاذاعة شرقا وغربا.

وعندما نطل إطلالة عابرة أو سريعة على حصاد هذا العام ثقافيا.. لن نلمح الكثير من القمم أو الوقفات البارزة على الساحة..

أن دور الثقافة على امتداد العام لا يعدو أن يكون بعض القصائد.. ذات النفس الطويل.. ويمكن القول أن هذا البعض قد استهدف طول النفس بحد ذاته.. وهذا لا يعنى ان الساحة الثقافية قد خلت من التعبير عن الحدث الجلل. ولكن يمكن القول ان الحدث كان أكبر من حجم وطريقة التعبير..

فهل افرزت القرائح التى عاشت اللحظة مايمكن أن يسمى بالعمل المسرحى الجيد.. أو الرواية الطويلة التى جاءت تعبيرا عما دار.. أو القصة القصيرة التى كشفت الحدث وعمقت من أبعاده.. أو الملحمة وهذا ما كنا نتمنى أن نراه؟

اللقاء القادم عبر السطور مع الدكتور جابر قميحة ــ الأستاذ بجامعة الملك فهد بالظهران .. والذى عاش اللحظة .. وكتب العديد من القصائد المعبرة عن الحدث .. هذا اللقاء يكشف الغطاء عن الكثير من الاجابات عن هذه الأسئلة الدائرة .. والحائرة ..

● ماذا ترى فى العدوان العراقى على الكويت وعلام استند هذا العدوان؟ وما الذى يكشف عنه هذا العدوان؟

ــ الحقيقة التى يسجلها التاريخ ان عدوان العراق على الكويت فى ٢ من أغسطس سنة ١٩٩٠ لم يكن هو العدوان الأول بل هو العدوان الثالث الذى سبقه عدوانان :

الأول : فى عهد عبد الكريم قاسم .

والثانى : فى عهد أحمد حسن البكر.

وكل هذه الاعتداءات كانت الحكومات العراقية تستند فيها إلى ما سمته الحق التاريخى الأصيل «فقد كانت الكويت تابعة فى الماضى للواء البصرة .. إلخ» ولو صح هذا الادعاء من الناحية التاريخية لكان من حق سوريا مثلا ان تطالب بضم العراق التى «كانت تابعة للخلافة الأموية فى دمشق» ومن حق العراق المطالبة بسوريا أو الشام لأنها كانت تابعة للحكومة المركزية فى بغداد فى العصر العباسى .

لقد نشأت دول وبادت دول ، وأصبح لكل دولة فى وقتنا الحاضر «مركز قانونى» يخضع للقانون الدولى . وللمواضعات العالمية .

ولندع هذه المغالطة موقتا لنرى ان العدوانين الأول والثانى على الكويت ــ وان لم يحققا هدفهما ــ كانا أكبر من مجرد محاولتين ساذجتين ، كما وصفهما بعض المحللين السياسيين بل كانا عملية جس نبض على المستوى المحلى والعربى والعالمى من ناحية ، وتمهيدا للعدوان الاجتياحى الأكبر الذى وقع فى ٢ من أغسطس سنة ١٩٩٠ .

وهذا الاجتياح المدمر الذى تم فى ساعة أو بعض ساعة كشف عن «حقيقة مرة» يجب الا تغيب عنا، بل علينا وعلى المسؤولين ان يجابهوها بكل شجاعة، وهى انه كان هناك قصور فى نظام «الدفاع الكويتى» الذى كان يمكن على الأقل ان يعرقل هذا الزحف ليوم أو أيام أو حتى ساعات.

وهذا القصور بالقطع ليس سببه قلة السلاح، أو التخلف «التقنى» فى نوعية السلاح، بل العكس هو الصحيح.

ولا يقال انه التفوق العددى فجيش العراق من ناحية الكم ضعف جيش الكويت عشرين مرة، لأن التفوق البشرى العددى لم يعد له قيمة فى عصر التقدم التقنى، وأمامنا مثل واضح هو إسرائيل.. عدد العرب الذين يحيطون بها مثل عدد سكانها مضروبا فى ثلاثين على الأقل، وقد رأينا كيف تمتد «يد إسرائيل الطولى» للاغتيالات والعدوان بالطائرات على بعض بلاد المغرب العربى وهى تونس، وتملك أقوى نظام دفاعى فى العالم، وأقوى نظام هجومى فى الشرق الأوسط.

ولا يقال كذلك انما اخذت الكويت على غرة لانه «لم يخطر على عقل الكويتى المسالم ان يعتدى الأخ العربى على أخيه العربى، وخصوصا انه كان بين حكومتى العراق والكويت معاهدة تعترف فيها الحكومة العراقية بحدود الكويت وسيادته على أراضيه..».

وهذا الكلام يصلح ان يكون «تهويمة» شعرية أو فكرية أو حوارا روائيا، ولكنه بالتأكيد ــ واعتمادا على سوابق تاريخية عربية وعالمية ــ لا يصلح أن يكون «منطقا سياسيا» أو «حيثية عسكرية».

السياسة فى العالم الآن «علم» له أصوله ومرتكزاته ومناهجه.. علم يقوم على «الاستشعار البعيد» بحيث يستطيع ان يتعرف على النتائج مسبقا من مقدماتها.. وما ينقصنا فى حياتنا هو الفهم الحقيقى.. لطبيعة «السياسة» وفهمها بوصفها علما له أعماقه وابعاده وطروحاته...

• اعتقد ان هذه مقولة تحتاج إلى توضيح ..

ــ أنا معك .. وسأوضحها بمثال من تاريخنا القريب الذى عاش اغلبنا احداثه :

بالاشتراك مع فرنسا وانجلترا ضربت اسرائيل مصر سنة ١٩٥٦ وفى سنة ١٩٦٧ ضربت إسرائيل مصر واصابتها بما سمى (النكسة) مطبقة خطة ١٩٥٦ بحذافيرها .

وسئل عبد الناصر عن سبب الهزيمة الثانية سنة ١٩٦٧ فكان جوابه : السبب أننا بنينا خطتنا على أساس ان الهجوم الاسرائيلى لو تم فسيتبع خطة مختلفة تماما عن خطته سنة ١٩٥٦ إذ ليس من المعقول ــ والكلام لعبد الناصر ــ ان يطبقوا خطة واحدة مرتين » .

هذا ما يقوله « المنطق العقلى الدارج » ليس من المعقول ان يطبق عدوك نفس الخطة التى طبقها سابقا حتى لو حققت نجاحا لانها أصبحت « مكشوفة » .

اما « المنطق العسكرى السياسى الواعى » فيقول : « استثمر وهم عدوك إلى آخر قطرة » كما يقول : « چورچ سباين » نفس الخطة .. ونفس الأهداف . لان « وهم » عدوها كان ينتظرها من مكان آخر . كما كانت قوات صدام حسين تنتظر قوات الحفاء فأتتها على غير توقع من جنوب العراق وتحولت أم المعارك إلى « طفل » المعارك .. وتحول النشامى والاشاوس إلى حطام محترق .

« وبطريقة ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى » استثمرت إسرائيل كلمة عبد الناصر الشهيرة وهى « القاء إسرائيل فى البحر » ونشرت كل صحف العالم اعلانات مدفوعة الأجر تطلب من « ذوى القلوب الرحيمة فى اية بلدة من بلدان العالم ان يستضيف كل منهم طفلا صغيرا أو شيخا جاوز الستين من رعايا إسرائيل بسبب تهديدات عبد الناصر المتلاحقة بالقاء إسرائيل فى البحر » .

ولاحظ حتى الآن ان الجيش الإسرائيلى اسمه «جيش الدفاع الإسرائيلى» مع انه فى الحقيقة جيش هجوم عدوانى لا جيش دفاع كما يزعمون بدليل انه من سنة ١٩٤٨ حتى الآن لم يخض معركة دفاعية واحدة فى أرض فلسطين المحتلة بل ان كل معاركه ضدنا هجومية.

هذه هى السياسة «العلم» لا السياسة «العاطفة».. وتتمة لما سبق سئل موشى ديان كيف تطبقون سنة ١٩٦٧ نفس خطة ١٩٥٦ اما خشيتم اخفاق الخطة بسبب انكشافها وسبق تطبيقها سنة ١٩٥٦ فأجاب: «لا.. كنا مطمئنين لان العرب قوم لا يقرءون».

وهذه مشكلة كأداء.. نحن قوم لا نقرأ وإذا قرأنا لا نتعمق فيما نقرأ، وإذا تعمقناه. وهذا يحدث نادرا ــ لا نفيد منه فى حياتنا العملية سياسيا وعسكريا واجتماعيا.

وهذا طبعا يتمخض عنه «فهم عاطفى» للسياسة. ويبقى الفرق بين فهمنا للسياسة وفهم الغرب لها كالفرق بين تكسير الجرة وتحطيم الذرة ــ كما يقول أحمد حسن الزيات يرحمه الله ــ فتكسير الجرة يحدث «فرقعة» قد تزعج الحاضرين من الصبية والنساء للحظة من الوقت «كالصوت الذى احدثه صدام حسين بانه سيحرق نصف إسرائيل»، ولست أدرى لماذا النصف وليس الكل اما تحطيم الذرة فناتجه طاقة رهيبة هائلة.

● ولكن ما رأيك فى دعوى النظام العراقى بان واقع التاريخ يقرر ان الوحدة لم تتم الا بالقوة كما حدث فى بعض دول أوربا. وهذا ما دفعه الى استخدام القوة فى «توحيد» العراق بضم الكويت إلى الدولة الأم؟

ــ كان هذا المنطق مستساغا فى الماضى: تتم الوحدة بالقوة العسكرية، وتأتى بعد ذلك بالتبعية الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. حاليا ترفض المواضعات العالمية هذا المنطق تماما.. وما يجرى فى العالم حاليا هو العكس تماما.. حاليا توضع اللمسات الأخيرة للوحدة الأوربية السياسية

الشاملة اعتماداعلى «وحدة اقتصادية» ناجحة هى «السوق الأوربية المشتركة» التى تعتبر أعظم مشروع اقتصادى فى تاريخ البشرية. أتعلم أن الدراسة المسبقة لهذا المشروع الاقتصادى الفذ استغرقت ١١ (احدى عشرة سنة) قبل اعلان المشروع رسميا؟

• وهناك ادعاء آخر بان للعراق حقا تاريخيا فى الكويت..

ـ نعم وهذا ادعاء آخر.. «الكويت كانت تابعة سابقا للواء البصرة... إلخ»..

ولو فرضنا صحة هذا الادعاء فلماذا لا تطالب العراق بضم مصر اليها وقد كانت تابعة للخلافة العباسية فى بغداد؟ ولماذا لا تطالب سوريا بضم العراق اليها لان العراق كان ضمن املاك الدولة الأموية التى كانت دمشق عاصمتها.. إلخ؟

ولكن الذى يثير الضحك حقا ادعاء النظام العراقى انه احتل الكويت لتكون نقطة وثوب على إسرائيل.. إذا كان هذا هو الهدف فلماذا لم يحتل عمّان مثلا وهى أقرب البلاد العربية إلى الأرض المحتلة.. وقد عبرتُ عن هذه الفكرة أو هذا «التفنيد» فى قصيدتى «الزحف المقدس» فى الأبيات التالية:

وتزعم ان الكويت الطريق
الى القدس والمركز الأوفق
وضم الكويت الى امها
«عراقِ الرشيد» بها اليق
فهل خلص القدسَ حرق الكويت
وما قد نهبت وما تسرق
ولِمْ لا تكون العراق سبيلا
الى القدس وهى بها الصق

وعـــمّـــان أقـــرب امـــا اردت
تـــذيـــق اليهـــود لـــظـــى يـــدفـــق
ولـــكـــنـــه مـــنـــطـــق المـــســـتـــبـــيـــح
وللـــص بـــرهـــانـــه الاخـــرق

• بعد ذلك نسأل عن أهم النتائج التى تمخض عنها العدوان العراقى التدميرى على الكويت؟

ـ فى الواقع نتائج لا تحصى ولا تعد ولعل من أهمها:

أولا: على المستوى العراقى:

١ ـ استطاع النظام العراقى ان يعيد العراق بنجاح فائق إلى «القرن التاسع عشر» بالنظر إلى المستوى المعيشى حيث يعيش الناس الآن فى الظلام ويشربون الماء الملوث من الأنهار مباشرة، وبعد انهيار القدرات والامكانات والمؤسسات العلمية والتعليمية.

٢ ـ انهيار الاقتصاد العراقى تماما.. وحتى لو رفعت العقوبات المفروضة على العراق سيظل هذا الاقتصاد ـ كما يقول الخبراء ـ مختلا لنصف قرن على الأقل.

٣ ـ أصبح الاجهاض الدائم مفروضا على العراق ـ من الدول الكبرى ـ لكل محاولة منه للنهوض العسكرى، وربما يستمر ذلك لعشرات من السنين. وسيترتب على هذا تخلف العراق من ناحية التقنية العلمية العسكرية وعجزه عن ملاحقة العالم فى هذا المجال الذى ينطلق فيه الجميع بسرعة الصاروخ.

٤ ـ فرض هذا العدوان (الذى تحول ضد شعب العراق نفسه).. فرض على ثلث الشعب العراقى ـ على الأقل ـ الشعور «بعقدة الاضطهاد» ـ وفقد هؤلاء الثقة.. لا بالنظام العراقى فحسب.. بل بأنفسهم أيضاً.. وقد يمتد ذلك إلى فقد الولاء للوطن نفسه.

٥ــ وهذا العدوان «المتحول» ضد الشعب أعطى مبررا قويا لظهور الدعوة إلى قوميات أخرى غير عربية .. بل هناك أصوات قوية جدا داخل العراق وخارجه تدعو إلى تقسيمه إلى دولتين أو ثلاث .

٦ــ فقد العراق ثقة العالم كله حكومات وساسة وشعوبا ومنظمات دولية وأصبح النظام العراقى رمزا للغدر والخيانة والكذب .

ثانيا : على المستوى الكويتى :

خسائر الكويت البشرية والمادية معروفة ظاهرة للعيان ، ولا تحتاج إلى بيان .

ثالثا : على المستوى العربى :

١ــ جريمة النظام العراقى افقدت الأمة العربية ــولا أقول العراق فحسبــ طاقة هائلة ، واعنى بها القوة العسكرية العراقية التى دمرت تماما «جنودا وسلاحا» وكان يمكن استثمار هذه الطاقة لصالح فلسطين . والأمة العربية ولو «كورقة سياسية» تنضم إلى طاقات عربية أخرى فى مواجهة القوى الصهيونية .

٢ــ اصابة الجدار العربى بشرخ لا يستهان به حتى لو قيل ان الخارجين على الخط العربى الواحد دولتان أو ثلاث دول .

٣ــ وكشفت النكبة ــكما اشرت سابقاــ اننا عاطفيون مسرفون فى العاطفية .. لا نعرف الا طرفى النقيض بلا وسطية .. اننا لا نؤمن الا «بالأبيض» فإذا رفضناه انطلقنا لنرتمى فى احضان «الأسود» اما اللون «الرمادى» أى «اللون الوسطى» فهو غائب من حياتنا .

فالحقيقة ضائعة بيننا .. ولا نجد الا الانتقال الحاد من الأبيض إلى الأسود أو العكس . من النقيض إلى النقيض تبعا لمقتضيات الأحوال .

رابعا : على المستوى الفلسطينى :

١ــ استطاع صدام ــبادعاء الحق التاريخى فى الكويتــ أن يعطى إسرائيل مرتكزا سياسيا رائعا ، فاخرجت ، ونشرت بكل لغات العالم «نصوصها التوراتية» التى تثبت «حقها التاريخى» فى فلسطين .

٢ــ والعرب مشغولون بنكبة الكويت تمت أكبر هجرة إلى إسرائيل من روسيا والكتلة الشرقية، فى الوقت نفسه قامت أوسع حركة بناء للمستعمرات الإسرائيلية فى الضفة الغربية.

٣ــ وأفادت إسرائيل ماديا بتلقى المعونات المالية الضخمة.. هذا غير السلاح والصواريخ المضادة للصواريخ.

● شخصية صدام.. أو سياسة صدام ما المعايير التى تحكمها من وجهة نظركم؟

ــ الحقيقة.. وأقولها لك وللقراء فى كلمات مكثفة انها سياسة «لا تخضع لأى معيار ثابت عرفته البشرية».

ولنسأل أنفسنا (حتى نرى مدى صدق هذه المقولة) واضعين أمامنا كل الاحتمالات:

هل هى سياسة تنطلق من منطق الشعور المفرط بالقوة والاستعلاء والثقة بالنفس؟

ــ لو أجبنا بالإيجاب لاطل علينا اعتراض فى هيئة سؤال مؤدَّاه: فبماذا تفسر انهياره السريع واستجاباته الفورية لكل ماتطلب الدول الكبرى ولنسأل أنفسنا مرة ثانية: هل ينطلق الرجل من منطلق دينى جهادى ــ كما كان يعلن؟ الاجابة أيضاً لا: فالرجل من أجهل الناس بالدين، حتى بكيفية الصلاة، والقريبون منه يقولون انه لا يملك لا خلفية ولا امامية دينية. ثم هل يتفق مع الدين ماقام به أشاوسه من سرقات ونهب وهتك أعراض وتدمير وحرق آبار البترول.

لقد ادعى انه ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم يقرأ انه كان يوصى جنوده الخارجين لقتال الكفار ــ وكذلك خلفاؤه الراشدون بألا «يقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا كبيرا، ولا يحرقوا بيتا ولا يقطعوا نخلا.. إلخ» هذا هو منطق الإسلام فى التعامل «مع الكفار» فكيف يعامل

صدام « الحسيب النسيب » المسلمين بسياسة التدمير والحرق والخنق ، وتدمير آبار النفط ؟

صدقنى هى سياسة يصعب بل يستحيل ان نخضعها لمعيار معين أو نصنفها تحت لون سياسى معين معروف . وصدق الشاعر العربى القديم إذ قال :

لا تمدحنَّ ابن عباد وان هطلت
كفاه بالجود حتى شابه الديما
فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا جودا ولا كرما

(الديم : جمع ديمة وهى السحابة)

وقد ابرزت هذه الفكرة فى قصيدة انظمها الآن وهى بعنوان « رسالتى الأخيرة لصدام البطل » ! ومنها هذه الأبيات :

لا تصدقهم فأنت البطل
فارس لا يعتريه الفشل
قد هزمت الشمس فى مشرقها
وعلى كفيك مات الأمل

وجرحت الحق جرحا غائرا
ما أراه فى غد يندمل
وستبقى للبرايا مثلا
مذهلا دوما و« نعم » المثل
فورب الخلق قد جئت الذى
عجزت عن ان تليه الأول
دوخت الغازك الدنيا فما
فهمت ماذا تريد الدول

مـــرة تـــدعـــو لـــســلـــم عـــادل
بـــيننا للـــنـــار أنـــت المـــشـــعـــل
كـنـــت مـــن قـبـل هـزبـرا كـاســـرا
ولأنـــت الـــيـــوم نـــعـــم الحـــمـــل

● لقد شدتنا النكبة ببعدها السياسي عن بعدها الثقافي.. والسؤال الآن عن أثر النكبة في الوضعية الثقافية للأمة العربية؟

ــ هى آثار ونتائج محزنة أهمها :

١ــ القضاء على مصدر مهم جدا من مصادر الثقافة العربية والإسلامية بتدمير الكويت. فمثلا توقفت سلسلة شهرية من أرقى ماعرفت المكتبة العربية فى تاريخها الطويل وهى سلسلة الكتب الشهرية المسماة «بعالم المعرفة» وكذلك مجلة العربى عدا مجلات فصلية وصحف يومية متعددة.

٢ــ وكذلك توقف مصدر ثقافى آخر وهو «العراق» نفسه ــ فبصرف النظر عن المجلدات الضخمة المدنسة بفكر صدام وسيرته وبطولاته ــ أخرجت المطابع العراقية عددا ضخما من كتب التراث والمسلسلات الشهرية التى كانت تباع فى مصر بسعر رخيص جدا.

٣ــ أصاب صف المثقفين كذلك ــ والإسلاميين منهم بصفة خاصة ــ بشرخ لا يستهان به بسبب التضاربات الفكرية. وكثير منهم خدع بدعاوى صدام الزائفة.

٤ــ اصيب المثقف العربى أثناء النكبة وبعدها بحالة نفسية غريبة أصارحك ــ وصدقنى ــ اننى شخصيا عاجز عن اعطاء وصف جامع لها ويمكن ان اسميها «الحالة المزيج».. فهى مزيج من الشعور الحاد بالاحباط والكآبة والحزن والخوف، يزاحمه شعور بالرفض والتمرد. ومن المثقفين من آثر لونا من الانعزال الصوفى.

وأدباء الكويت وشعراء الكويت أين هم من النكبة؟ وما طروحاتهم الفنية فى هذا المجال؟

ــ فى الكويت شعراء وأدباء على مستوى طيب جدا أعرف منهم الشاعر الدكتور خليفة الوقيان، وهو شاعر عظيم مثقف متمكن من لغته .. وأكاد أقول اننا لم نسمع له صوتا .. أين أنت من «القضية الفجيعة» أيها الشاعر الكبير؟

وأعرف الدكتور سليمان الشطي الأستاذ بجامعة الكويت .. انه قصاص بارع، وهو من «المرابطين» الذين رفضوا ان يغادروا الكويت، واصر على البقاء فيها هو وابناؤه طيلة مدة «الاحتلال العراقى» .. ونحن نطرح عليه السؤال نفسه .. الذى وجهناه للأخ الدكتور خليفة الوقيان.

ما تفسير هذا؟ ربما نجد التفسير فيما ذكرته آنفا من الحالة الشعورية الغريبة التى أصابت كثيرين من المثقفين. وقد نرى لهم اعمالا عظيمة فى المستقبل. فعلم النفس يقرر ان من المبدعين من تعجزه «الصدمة الشعورية» عن الابداع .. فيتأخر ابداعه إلى ما بعد الافاقة الأولية. ومنهم من تفجر «الصدمة» طاقته الابداعية فى آنها ... أى فى الوقت المزامن لها.

● **وعن موقف الشعراء العرب وتقييمك لعملهم:**

ــ اسهم كثير من الشعراء العرب من السعودية ودول الخليج ومصر وسوريا وفلسطين بشعرهم فى هذه النكبة. وكثير من هذا الشعر قصائده جيدة، كما ان أغلب هذه القصائد يتسم من الناحية الشكلية بطول النفس، ولكننى لاحظت على بعض الشعراء ــ ولا داعى لذكر الاسماء ــ ان طول النفس عنده كأنه مقصود لذاته، لذلك يحس القارىء المثقف ان هذه المطولة تفقد كثيرا من حرارتها وصدقها الفنى فى أبياتها الأخيرة، كأن الشاعر أصر على ان يقحم هذه الأبيات على تجربته اقحاما حتى يكثر بها أبيات القصيدة.

ومن الناحية الموضوعية: نلمس التسطيح والمباشرية على هذه القصائد

مع التركيز على « الشخصية السيكيوباتية » لصدام وكان ذلك على حساب المعايشة الحقيقية لمأساة الشعب الكويتى .

وهذا لا يمنعنى من القول بأن عددا لا بأس به من هذه القصائد كان ذا مستوى رفيع جدا .

ولكن الحكم النهائى الشامل ــ وبصراحة تامة ــ ان مجموع ما نظم فى هذه النكبة فى مجموعه لم يكن على مستوى النكبة .. كانت النكبة أشد وأعتى فى آثارها السياسية والاقتصادية والنفسية من ان يكتفى فيها بما قيل كما وكيفا .

ثم أين « العمل الكبير » الذى استلهمه كبار المبدعين من إيقاعات النكبة .. من شعراء وقصاصين وفنانين وأقصد « بالعمل الكبير » الملحمة والرواية والمسرحية والفيلم .. لم نر شيئا من ذلك .

● لكن بماذا تعلل ذلك ؟

ــ قد اضيف إلى التعليل الذى ذكرته من قبل تعليلا ــ آخر وهو اننا حاليا نعيش « أزمة شعرية » قهارة يتحمل النقاد « الجاملون » قدرا كبيراً من مسئوليتها . هى أزمة حقيقية إذا وازنا شعرنا الحالى بالشعر العربى فى الربع الثانى من القرن العشرين الذى اتسع لشوقى وحافظ ومطران وعلى محمود طه وشعراء المهجر وإبراهيم طوقان وأبو سلمى . والحسن العواد والمهدى الجواهرى وغيرهم ..

لقد كان الشعر فى هذه الفترة أرقى وأقوى و « ألصق » بالعربية فى صورتها المثلى ، وأسرع استجابة للأحداث الوطنية والاجتماعية والسياسية .

● وماذا عن شعرك فى نكبة الكويت ؟ وما أهم الموضوعات التى عالجها ؟

ــ كانت أول قصيدة نظمتها فى نكبة الكويت هى قصيدتى الطويلة (الزحف المدنس) وقد انتهيت من نظمها يوم السبت ٤ من أغسطس ١٩٩٠ ونشرت فى جريدة « الوفد » القاهرية وأعتقد ــ حسب علمى ــ أنها أول

قصيدة نشرت فى الوطن العربى عن نكبة الكويت.

ثم توالت القصائد بعد ذلك وكلها قصائد طويلة تربو الواحدة على الخمسين بيتا مثل «قصيدة صوت المقاومة الكويتية» وفيها أقول على لسان أفراد هذه المقاومة:

نهضنا ننفض الاغلا
ل والصدام والهونا
وطلقناك يا دنيا
طلاقا بائنا ... بينا
لان الثأر يطلبنا
وان هنا فلا كنا
واشهدنا فجاج الأر
ض سهلا كان أو حزنا
بانا صوت ثار الام
تبكى البنت والابنا
وشهقة طفلها الخنقو
ه حتى مات ما انا
وانا صوت هذى النكـ
بة النكباء قد رنا
بزحف خالص للـ
ـه ان صلنا وان جلنا
وفى ايماننا الرشا
ش يضرب كيفما شئنا

اما قصيدتى (إلى سحر بنت الكويت المشردة) فيرجع الفضل فيها إلى فتاة كويتية رأيتها فى مساء أحد أيام اكتوبر ١٩٩٠ فى التلفاز السعودى.. واحدة ضمن آلاف المهاجرين من الكويت عن طريق الخفجى. وكانت

الفتاة شعثاء غبراء يظهر على وجهها امارات الأسى والحزن فأثارت كوامن اشجانى فكانت قصيدة من أكثر من ستين بيتا .. أقول فى مطلعها :

خذى دموعك من عينى يا سحر
فقد تقرح منك الخد والبصر

وما ذرفت غزير قد تلاه دم
من بعد ما قد غشاك الحزن والسهر

آه اراك مع الأسحار هائمة
تبكى عليك نجوم الليل والسحر

تبغين شربة ماء أو ثمالتها
فلا يجيبك الا الحر .. والضجر

وتنشدين فتاتا من غنائمهم
حتى تعيشى فضنت منهم الكسر

كأنهم بمصير الخلق قد وكلوا
فكل من ليس منهم عمره هدر

ثم كانت قصيدة «إلى الشعراء المربدين» وهى نقد مر لهؤلاء الذين وثنوا» صدام فى قصائدهم بالمربد العراقى.

واعتز بصفة خاصة بعمل شعرى درامى طويل يستغرق قرابة مائة صفحة من القطع الكبير بعنوان (أغسطس الدماء والأعراض: يوميات جندى عراقى فى الكويت المنهوب)..

• وهل نشرت هذه القصائد كلها..

نشرت الثلاثة الأول، فى الصحف السعودية والعربية بل نشر بعضها فى ثلاث أو أربع صحف ومجلات وكانت بحمد الله موضع رضاء القراء.

كما القيت بعضها فى النادى الأدبى بالدمام، وفى أمسيات شعرية اقناها فى جامعتنا: جامعة الملك فهد بالظهران.

ولكن الذى اعتز به حقا اننى عشت القضية بكل أبعادها لانها لم تكن قضية شعب يواجه شعبا أو قضية حكومة تواجه حكومة .. ولكنها كانت ولا زالت قضية حق يواجه باطلا مظلما ظالما ..

ولا بد للحق ان ينتصر وان طال المدى ..

الزَّحْفُ المُدَنَّس

١. إلى أينَ تزحفُ يا فيلقُ
وقد ريعَ من زحفِك المشرِقُ

٢. كتائبَ تحت جناحِ الظَّلامِ
وعُدَّتُها الناسِفُ المُخرِقُ

٣. فهذى مدافعُ تُدمى الجبالَ
وهَذِى صواريخُها تُبْرِقُ

٤. وتلك نسورٌ تغطِّى السماءَ
وفى لحظةٍ رجْمُها يَصْعَقُ

٥. وفوق الصَّحارَى دبيبُ الحديدِ
وصوتُ المنايا بِهِ يَنْعقُ

● ● ●

---

* نشرت فى صحيفة «الوفد» المصرية فى ١٩٩٠/٨/١٦. وفى صحيفة «اليوم» وصحيفة «الرياض» السعوديتين فى ١٩٩٠/٩/٢٦. وألقيت فى «الأمسية الشعرية» التى أقامها النادى الأدبى بالدمام مساء الثلاثاء ١٩٩٠/٩/١٨. ونشرت بعد ذلك فى مجلة (الحرس الوطنى) السعودية الشهرية (عدد مارس ١٩٩١).

٦. ظننتُهُمْ فيلقَ المصطفى
لنصر الحقيقةِ قدْ أشرقُوا
٧. فرايتهمْ عِزَّةٌ لا تهونُ
ولا تعرفُ الغدْرَ أوْ تفْسُقُ
٨. شريعةُ حقٍ بها يُستضاءُ
وليْسَ بغير التُّقَى تنْطِقُ
٩. لعلَّ خُطاهم إلى القدس تهْفُو
بقلبٍ مشوقِ المُنى يَخْفِقُ
١٠. لكيما يردُّوا البغَاةَ العُتاةَ..
ويرتفعَ العلمُ المُشْرِقُ
١١. فخوراً بنصرٍ عزيزٍ أبِيٍّ..
وَمَسْرى النبيِّ سنًا يَألَقُ
١٢. فأنعِمْ بسبْقِهِمُ للعُلا
ومِثْلُهُمُ للعُلا يَسْبِقُ

● ● ●

١٣. ولكنْ -ويا هوْلَ ما قد رأيتُ
فما جاءَ للحقِّ ذا الفيلقُ
١٤. لقد جاءَ يغْصِبُ أرضَ الشقيقِ
وبينهما العهْدُ والموْثِقُ
١٥. فأين حقوقُ الجوارِ الكريمِ
وأينَ الشهامةُ والمنطِقُ

١٦. وأيـن العـهـودُ وأيـن الـوعـودُ
وأيـن الـصـديـقُ الـذى يَـصْـدُقُ؟

• • •

١٧. فلسطينُ يتركها تُستباحُ
وسُكّانُـهـا كـالـدُّمَـى تُـسْـحَـقُ

١٨. ولـيـسَ بها غـيـرُ أمٍّ تـنـوحُ
وطـفـلٍ دِمَـاهُ بـهـا تُـهْـرَقُ

١٩. وشيْـخٍ يَـهـيـمُ عـلـى وَجْـهِـهِ
إلـى أنْ يَـلِـيـهِ الـرّدى الـمُـزْهِـقُ

٢٠. وعـذْراء قَـد هَـتـكـوا عِـرْضَـهـا
ولـيـس هـنـالـك من يُشْـفِـقُ

٢١. وإخـوتُـهـا بـحِـجـارٍ تـصـدّوْا
فـجـاءَ الـرصـاصُ لـهـم يَـمْـحَـقُ

٢٢. فـلـم يستكينوا لهذا السعيرِ
وخـابَ رصـاصُـهُـمُ الـمُـغْـدِقُ

• • •

٢٣. أصـدّامُ هـلْ أنـتَ حقاً نسيبٌ
سـلـيـلُ الـنـبـىّ بـه تـلْـحَـقُ

٢٤. وبـيْـتُ الـنـبـى رفـيـعُ الـذُّرا
ودوحـتُـهُ بـالـهـدى تُـورِقُ

٢٥ . على ذاك مات الحسينُ الشهيدُ
نبيلا بصوتِ الفِدا ينطِقُ
٢٦ . فإن كان قولك حقًّا وأنّــ
ـكَ في النَّسَب المهتدِي مُغْرِقُ
٢٧ . فهذي فلسطينُ رهنُ الأسى
وأرواحُ أبنائِها تُزْهَقُ
٢٨ . أتتركهمْ نهْبَةً لليهودِ
لتقطعَ ما حَقُّهُ.. يُوثَقُ
٢٩ . وتمضى كقابيلَ في غَيِّهِ
فلا سَلِمَ القاتلُ الأحمقُ
٣٠ . وتزعمُ أن الكويتَ الطريقُ
إلى القدسِ والمركزُ الأوفقُ
٣١ . وضَمَّ الكويت إلى «أمِّها»
عراقِ الرشيدِ بها ألْيَقُ
٣٢ . فهل خَلَّصَ القدسَ حرقُ الكويتِ
وما قدنهبْتَ وما تسْرقُ
٣٣ . ولِمْ لا تكونُ العراقُ سبيلاً
إلى القُدس وهْيَ بها ألْصَقُ
٣٤ . وعَمَّانُ أقربُ إمّا أردْتَ
تذيقُ اليهودَ لظًى يَدْفَقُ
٣٥ . ولكنهُ منطقُ المُسْتبيح
وَلِلِّصِّ بُرْهانُهُ الأخرقُ

٣٦. أصدَّامُ يا منْ هدمتَ الإخاءَ
أيَا وَثَنًا ذاتُهُ يَعْشَقُ
٣٧. ومُشْعَتُهُ أنْ يُريقَ الدماءَ
فلونُ الدماءِ لهُ شَيِّقُ
٣٨. وإغراقُ أمتِهِ في البلاء
يهونُ إذا هُوَ لا يَغْرَقُ
٣٩. فقلْ لي بربِّكَ أينَ الصِّحابُ
رفاقُ السلاحِ، ألَمْ يُشْنَقُوا؟
٤٠. وكم منهُمُ قدْ قتلتَ اغتيالاً
وكمْ قد حرقْتَ؟ وكم أُغْرِقُوا؟
٤١. وكم مِنهُمُ فُجِّرُوا في الفضاءِ
إذا في الفضاءِ هُمُ حَلَّقوا؟
٤٢. صباحًا تقابلُهمْ بالعناقِ
وفي الليلِ موتُهُمُ الأزرقُ
٤٣. وذنبُهُمُ أنهمْ.. عارضوكَ
وأنتَ عدوُّكَ من يَصْدُقُ
٤٤. ولو نافقوكَ لعاشوا الحياةَ
بها الحُسْنُ والرَّوْحُ والرَّوْنَقُ
٤٥. «كَطَهَ يسينٍ» و«عَزِّ إبراهيم»
و«طارقْ عزيزٍ» ومَنْ نافَقُوا
٤٦. وكلُّهُمُ لدمارِ العراقِ
سَعَوْا سابقينَ ولنْ يُسبَقُوا

٤٧ . عباقرةٌ في انتهابِ الشعوبِ
ورائدُهم شَرَةٌ مُطْبِقُ
٤٨ . فوا أسَفًا للعراقِ الشقيقِ
على رأسِه الهادم الْمُوبِقُ

• • •

٤٩ . أصدَّامُ سُدَّتْ عليك الفجاجُ
وضاقَ بك الغربُ والمشرقُ
٥٠ . ونفسُك ضاقَ عليك مَدَاها
فأينَ الطريقُ الذى تطرُقُ ؟
٥١ . لقد لعنتكَ جميعُ الشعوبِ
وصوتُ الضحايا بها مُخْنَقُ
٥٢ . ويا عارَ تاريخنَا المستباحِ
عليك عروبَتُنَا ... تبْصُقُ
٥٣ . وتصْرخُ : هلاَّ ذكرتَ الطغاةَ
فأنت بذكرهِم أخْلَقُ
٥٤ . إلى أينَ طيشُهُم قادهمْ
وحكمُهُمُ الظالمُ المطْلَقُ
٥٥ . فلم تُغْنِ عنهمْ جيوشُ الضَّلالِ
وما جَمَعوه وما أنفَقُوا
٥٦ . وما نَفَعتْهم جواسيسُهُمْ
وما قدْ أعدُّوا وماخَنْدَقُوا

٥٧. فإن الضحايا إذا دَمْدَمُوا..
وثارُوا بحقٍّ فلنْ يُخْفِقُوا
٥٨. بثورتهِمْ يسحقونَ العتاةَ..
وما حُمِّلُوهُ وما.. طُوِّقُوا

• • •

٥٩. أصدامُ إنِّي أراكَ غداً
ومَعْكَ بطابتُكَ الفُسَّقُ
٦٠. وقوداً لزحفٍ جديدٍ عتيدٍ
وشعبُ العراقِ به يُعْتَقُ
٦١. فيطْلُعُ فجرُ العراقِ الحبيبِ
وصبحُ عروبتنَا يُشْرِقُ

القاهرة ٥/٨/١٩٩٠

١ ــ الفيلق : الجيش الكبير. ريع : أفزع وأخيف .

٩ ــ تهفو: تشتاق .

١٦ ــ أكد صدام حسين للرئيس حسنى مبارك أكثر من مرة أنه لا ينوى العدوان على الكويت .

١٧ ــ الدمى : جمع دمية : وهى لعبة الطفل .

١٨ ــ تهـرق : تراق .

٢١ ــ الحجار: يقصد بها الحجارة . وهذا البيت وتاليه يتحدثان عن أطفال الانتفاضة .

٢٢ ــ المغدق : الزائد الفياض .

٢٤ ــ الذرا : جمع ذروة وهى القمة وما شابهها .

٢٦ ــ معرق : أصيل .

٣٩-٤٤ ــ دأب صدام حسين على التخلص من كل من يعارضه ، وكذلك من كبار الضباط الذين أحرزوا بعض الانتصارات فى حربه مع إيران وسلطت عليهم بعض الأضواء مثل محرر «الفاو» القائد عبد الرشيد وغيره .

٤٥ ــ ضبطت الأسماء بهذا الشكل لضرورة الوزن . وهؤلاء الثلاثة هم أقرب الناس إلى قلب صدام . وهم يشاركونه وزر كل الكوارث والجرائم .

٤٨ ــ الموبق : المهلك . ٥١ ــ محنق : غاضب

٥٣ ــ أخلق : أجدر من غيرك .

٥٣-٥٨ ــ ومن أمثلة هؤلاء : موسولينى وشاوشسكو.

٥٩ ــ الفسّق : جمع فاسق . ٦٠ ــ حديد : قوى . يعتق . يحرر.

صَوْتُ المقاوَمَة الكُوَيتية

١. وتسأل في الوغى عنّا كتابَ الليل والكونا
٢. «أأشهدُ يا دجى إنسًا يزفُّ الموتَ أم جِنّا
٣. وقد هبوا بجوف الليـ ـل جمرًا ثائرا جُنّا
٤. وليس سوى زفيرِ النا ر قد تخِذُوا لهم لحنا
٥. إذا انقضّوا فقد فضّوا وإن لزحفهم شأنا
٦. فساحُ الموتِ ملعبُهمْ كما جعلوا الوغى فنّا؟
٧. أأشهدُ واقعاً حيّاً يروعُ الليلَ إن جَنّا*
٨. أم الأطيافَ في الأحلا م هبّتْ تسبق الظنا؟»

• • • •

٩. ألا يا سائلا عنّا بجوف الليل قد ثُرْنا
١٠. وجافينا ... مراقدنا وأشبعنا الهوى لعْنا
١١. ولم نفقدْ نعيم العقْـ ـلِ في ليلى وفي لُبنى
١٢. وفي عفراء أو سلمى وكأسٍ خمرُها غنّى
١٣. ولكن في كويتِ القلـ ـبِ تحيا الروحُ بل تَفْنى

---

* نشرتها مجلة (الشرق) السعودية الأسبوعية في ٣/١١/١٩٩٠. وصحيفتا «اليوم» و«الرياض» السعوديتان في ٤/١١/١٩٩٠. وصحيفة «السياسة» الكويتية.

١٤. ألم نُولد بجنّتِهِ وفي خيراتِه عِشْنا
١٥. نعانِقُهُ .. يُعانقُنا وفي نجواهُ قد هِمْنا؟
١٦. فلو أنّا .. هجرْناهُ.. وبُدِّلْنا بهِ عَدَنَا
١٧. لكان رجاؤُنا أنّا.. لأرض كويتنا عُدْنا
١٨. وظل القلبُ هيمانا.. وليس لغيرها حَنَّا

● ● ● ●

١٩. لقد عشنا سنين العمـ ـر في وطن العُلا الأسْنى
٢٠. يمدّ يديه للجيرا نِ جُودا يسبق المُزْنا
٢١. ويحمل كلَّ محتاج.. ولا إيذاءَ أو مَنَّا
٢٢. وكان لحُرّهِمْ مأوى لقاصيهِمْ وللأدْنى
٢٣. فإن ضاقتْ به الدنْيا وأضحتْ شمسُها جَوْنا
٢٤. وطارده كلابُ الأرْ ضِ كي يَغْنو لهم جُبنا
٢٥. تلقفهُ كويتُ الأمْـ ـنِ كي يستشعرَ الأمنا
٢٦. وصارتْ حصنَه الحامي وأينَ كمثلِها حصْنا؟
٢٧. فترعاهُ .. وتكرمهُ ولو يقضي بها قَرْنا

● ● ● ●

٢٨. ألا يا سائلا عنّا بجوف الليل إذْ قمنا
٢٩. فعدّتُنا يقينُ ثا بتُ الأركانِ لا يفْنى
٣٠. بأن كويتنا الشمّا ءَ في أعماقنا مَغْنى
٣١. فلما أنْ رأينا رُو حَ هامانٍ وفرعونا

٣٢. وهولاكو .. ونيرون وإيليسا لهم عونا
٣٣. وقد حلّتْ بصدامٍ فكانَ اللفظَ والمعنى
٣٤. وشنّ على كويتِ الحقّ(م) بالأوباش ما شنّا
٣٥. نهضنا ننفضُ الأغلا لَ والصدّامَ والهَوْنا
٣٦. وطلّقناكِ يا دنيا .. طلاقا بائناً بَيْنا
٣٧. لأن الثأرَ يطلبنا وإنْ هُنّا فلا كنّا
٣٨. وأشهدْنا فجاجَ الأر ض سهلا كان أو حَزْنا
٣٩. بأنّا صوتُ ثأرِ الأمّ(م) تبكي البنت والإبْنا
٤٠. وشهقةُ طفلها الخَنْقُو ةُ حتى مات ما أنّا
٤١. وأنّا صوتُ هذى النكـ ـبةِ النكْباءِ قد رنّا
٤٢. بزحف خالصٍ .. لِلّـ ـهِ إنْ صُلْنا وإنْ جُلْنا
٤٣. وفى أيمانِنا الرشّا شُ يضربُ كيفما شئْنا
٤٤. ويهتكُ أمنَ جيشِهُمُ فيصرخ «مهربى أيْنا ؟»
٤٥. وقد ضاقتْ بهم أرضى ونحنُ كأرضِنا ضقنا

● ● ● ●

٤٦. رفعنا غصن زيتونٍ فداسوا الحق والغضنا
٤٧. ولم يغنُوا لصوت العقـ ـل بل أبدَوْا له الأفْنا
٤٨. وما احترمُوا نِدا الدنيا وما قَدرُوا له وزْنا
٤٩. فأقسمنا بألا يُغْـ ـيِضُوا فيها لهمْ جَفْنا
٥٠. فإن عاذُوا بغازِهِمُ فنحنُ بربِّنا عُذْنا

● ● ● ●

٥١. أأبنى البيتَ منا الجهـ	ـدُ والأحجارُ والبنّا
٥٢. وتأتى يا عدوَّ اللـ	ـهِ تغصبُهُ لكم مَبْنى
٥٣. وتأكلُ ما حواه البيـ	ـتُ خبزًا كان أو سَمْنا
٥٤. وأطردُ حاملا ولدى	يعانى الجوع والحزْنا
٥٥. بلا جنسيةٍ نمضى	فهل كنّا لكم قِنْنا ؟
٥٦. وإسرائيل فى رغَدٍ	بقدسِ نبينا تَهْنا ..

● ● ● ●

٥٧. ألا يا سائلا عنا	قهرْنا الموت والسجنا
٥٨. وبايعنا على خوضِ الـ	ـكفاح المرَّ ما عِشْنا
٥٩. إلى أن نجنِىَ النصرًا	وطيبَ الذكرِ إن متنا
٦٠. فكلتا الحسنيين لنا	لكلٍّ منهما اشتقْنا
٦١. ففى الدنيا لنا حُسْنى	وفى الأخْرى لنا حُسْنى

الظهران ١٢/١٠/١٩٩٠

٦ ــ ساح : جمع ساحة وهى الميدان الفسيح .

٧ ــ جن : جاء وظهر.

١٦ ــ عدنا : جنة عدن .

٢٠ ــ المزن : السحب (جمع مزنة).

٢٣ ــ الجون : الأسود المظلم .

٢٤ ــ يعنو : يخضع .

٣٥ ــ الهون : الذل .

٣٨ . الحزْن : المرتفع من الأرض .

٤٧ . الأفن : الطيش والحمق .

٥٠ ــ عاذوا : احتموا.

٥٥ ــ القين : العبد .

٥٦ . تهنا : تهنأ : تسعد .



إلى سَحر
بنت الكويت المشردة



[رآها الشاعر ــ في يوم من أيام أكتوبر ــ شعثاء غبراء، والدموع تملأ عينيها، ضمن آلاف الكويتيين الذين هرعوا إلى السعودية عند الخفجي هرباً من نار البعث والصداميين... فكانت هذه القصيدة]

١. خُذِي دموعَكِ من جفنيَّ يا سحرُ
فقد تقرّح منكِ الخدُّ والبَصَرُ

٢. وما ذرفتِ غزيرٌ قد تلاهُ دَمٌ
من بعدِ ما قد غشَاكِ الحزنُ والسهرُ

٣. آهٍ أراكِ مع الأسحارِ هائمةً
تبكي عليك نجومُ الليلِ والسَّحَرُ

٤. تبغين شربةَ ماء أوْ ثُمالَتَها
فلا يجيبُك إلا الحرُّ..والضجرُ

٥. وتنشدين فُتاتا من «غنائمهم»
حتى تعيشي فضنّت منهُمُ الكِسَرُ

٦. كأنهمْ بمصيرِ الخلقِ قد وُكِلوا
فكلُّ من ليس منهمْ عمرُهُ هَدَرُ

● ● ● ● ●

(*) نشرت في صحيفة (اليوم) السعودية في ١٩٩٠/١١/٢٥، ونشرتها مجلة (المنتدى) الشهرية التي تصدر في (دبي) في العدد رقم (٩٠).

٧. فأين منكِ حياةُ العزّ وارفةٌ
إذْ كنتِ من قبلُ حيثُ الماءُ والشجر
٨. يعلوكِ ظلٌّ ظليلٌ فى مَرابِعها..
وبين كفيكِ غالى الدرّ والثمرُ
٩. تقبّلين ضياءَ الشمسِ كلَّ ضحىً
وأنتِ فى العين أنتِ الشمسُ والقمرُ
١٠. وتخطرين فتفديك النفوسُ إذا
عَدَا على الأفْق غيمٌ أوْ بَدَا خَطَرُ
١١. دنياكِ كانت نعيمًا باسمًا عَطِرًا
وأنتِ فيها الربيعُ الباسم الخَضِرُ
١٢. تهيمنين على عرشِ القلوبِ..وما
تاجاك إلا الجمالُ الطفلُ والخَفَرُ
١٣. وتَطلبينَ عقودَ النجمِ يُحضرُها
أبٌ عظيمٌ رقيقُ القلبِ مقتدِرُ
١٤. يرى بعينيك مَغْناهُ..وعالَمَهُ
فليس يشبهه فى بِرّه بَشَرُ

● ● ● ● ●

١٥. وذاتَ صبحٍ ضَريرٍ صاح صائحهُ
«لاحاكمَ اليوم إلا النابُ والظُّفُر»
١٦. جاء الذئابُ وفكر البعثِ منطقهمْ
بئس الذئابُ وبئس المنطقُ القذر

١٧. يدعُون للبعث والعدوانُ عُدتهم
والطيشُ والإفك والبهتان والكُفُرُ
١٨. وكيف تُقبل دعوى إنّ صاحبَها
هو الدعِيُّ الزنيمُ الكاذبُ الأشِرُ
١٩. وجوهرُ البعثِ إلحاد و«عَفْلَقَةٌ»
هل يُرتجى للخلاصِ الرمَّةُ النَّخِرُ

● ● ● ● ●

٢٠. ماذا نقول إذا ما اللهُ يسألُنا
يومَ القيامةِ حيثُ الهولُ يَستعِر
٢١. «ألم يجئكم كتابٌ فيه موعظةٌ
وفيه حق ودينٌ قيمٌ عَطِرُ
٢٢. أساسُه الحبُّ والإيثارُ منطقةُ
والاعتصامُ بحبل الله والنظَرُ
٢٣. فكيفَ هان عليكم دينكمْ وغَدتْ
أوطانُكم قد غزاها الإفكُ والتَّتَرُ؟»
٢٤. فهل نقولُ: طغَى في ساحِنا نفرُ
هبّوا إلى الشر يا بُؤسى لِما نفروا
٢٥. قالوا هو البعثُ جئنا كيْ نحقّقَهُ
وجمَّعُوا أمرهم بالليلِ وائتمرُوا
٢٦. فاستبدلوا الموت بالبعثِ الكذوب. فَما
تجنيه أيديهمُ بالغدرِ مُغتفرُ

٢٧. أما قلوبُهُمُ فالشرُّ... معدنُها
أرقُّ منها وربي الجَلْمَدُ الحَجَرُ
٢٨. فالصخرُ تجرى به الأنهارُ دافقةً
ومنهُ ما خشيةً يهوِي وينزجرُ

● ● ● ● ●

٢٩. رُحماك ربى فنفسِى نهبُ محزنةٍ
لما تعانيهِ فى ليل الضَّنَى سَحَرُ
٣٠. أريدُ أحملُ عنها بعضَ ما رُزئتْ
وليسَ عندِىَ إلا الشعرُ والنَثَرُ
٣١. حتى بقية عمرى لستُ أملكُها
فقد توزع فى أشعارِىَ العُمُرُ
٣٢. فهاكِ دفترَ شعرى إنه عُمُرى
ومن دمائِىَ قد صيغتْ به السُّطر
٣٣. وسوف تلقَيْنَ قلبى فيهِ ملحمةً
فإنه لضحايا الظلمِ مُسْتَعِرُ

● ● ● ● ●

٣٤. وحدثينى عن الأرزاءِ كيفَ دَهَتْ
وعن «كُويْتِكِ» إذ حلَّتْ به الغِيَرُ
٣٥. بلْ فاصمُتى فضميرى مثقلٌ تعِبٌ
والقلبُ من شدّة الأرزاءِ منفطر

٣٦. لا تذكرى لى اليتامى غِيل عائلُهُم
فى ليلةٍ غاب فيها العدلُ والقمر
٣٧. من بَعدِ ما نهبَ الأموالَ ناهبُها
من «الصناديد» لم يُبقوا ولم يَذَرُوا
٣٨. لا تذكرى لِيَ أعراضاً تقاسَمَها
أشاوسُ البعثِ. لِمْ لا؟ إنهم كفروا
٣٩. بل إن من كفروا قد كان بعضُهُمُ
إذا نَوى منكرا يمضى ويستتر
٤٠. وزُمرة البعثِ قد جَرُّوا جريرتهم
بلا حياءٍ وبالآثام قد جهرُوا
٤١. لا تذكرى لى بيوتَ الله كيف هَوَتْ
تداسُ فيها محاريبٌ، وتُختَقَرُ
٤٢. ما عادَ يُشرق فى ساحاتِها سَحَراً
نورُ الأذان ولا الآياتُ والسور
٤٣. ياسينُ والفتحُ والأنفالُ فى ألَقٍ
والرعدُ والكهفُ والأحقافُ والزُّمَرُ
٤٤. وآل عمرانَ والأنعامُ يَتْبعها
نورُ المثانِيَ والإسراءُ والقمرُ
٤٥. ولا المنابرُ يعلوها مَصَاقِعُها
يشعُّ منها البيانُ الفذّ والسّير

● ● ● ● ●

٤٦. لا تذكرى لى ففى عينيك ملحمةٌ

فيها الإدانةُ والتبيانُ والعِبرُ

٤٧. فى كل دمعة حزن شاهدٌ جَلَلٌ

يدرى مداه -وربى- البدوُ والحضَرُ

٤٨. كُفِّى دموعاً جرَتْ ممزوجةً بدمٍ

أخشى على خدك المقروح ينصهرُ

٤٩. قد ينتشى الشر بعضَ الوقت من سَفَهٍ

ظناً بأن الذى قد جاءهُ الظفَرُ

٥٠. لكنها رقصة الطيرِ الذبيح بَدَا

فى عنفوانٍ قوىٌّ ثم... يُحتضَرُ

٥١. أما اليقين فباقٍ ليس يهزمهُ

باغ عتىٌّ عدا، أو موقفٌ عَسِرُ

٥٢. فلتنهض بيقينِ الحق وانسَلِخى

من الرزايا فإنَّ الحقَّ منتصرُ

• • • • •

٥٣. أرى الليالى حبالَى فى مسيرتها

وفى الليالى الحبالى تنطقُ النذُرُ

٥٤. وما وَليدُ الليالى غيرُ عاصفةٍ

عند المخاض ستصرخُ «إنِّى سَقَرُ»

٥٥. لها زفيرٌ خطيرُ الصعق ضَرَّمَهُ

إصرارُ شعب كإصرار الأُلَى غَبَرُوا

٥٦. فلا مُقام لغير الزحف مكتسحا
وليس ثمةَ إلا الحقُّ والشرَرُ
٥٧. أما أشاوسُهُمْ فالفرُّ ملجؤهمْ
كما تفرُّ أمامَ القَسْوَرِ الحُمُرُ

● ● ● ● ●

٥٨. أكادُ أشهدُ «خيطاناً وقد هتفَتْ
بالسّالميّة» قُومى جَادَنَا المطرُ
٥٩. كذاك «كيفانَ» و«الفيحاءَ» من فرح
تراقصَتْ فيها الأشجارُ والزهَرُ
٦٠. والخالديةَ والشامية انْتَشَتا
وقد أهلَّ الربيعُ الباسمُ النَّضِرُ
٦١. هذا هو الفجرُ قد لاحتْ طلائعُهُ
والليلُ من فزع يهوى وينتحرُ
٦٢. فعانقِى الفجرَ إنّ الفجرَ فى لَهَف
وأنتِ أنتِ عروسُ الفجر يا سَحَرُ

الظهران: أكتوبر ١٩٩٠

إلى الشعَراء المرْبَدِيّين

كان هوى «الطاغية صدام» أن يدعو فئات معينة من الشعراء والمتشاعرين والمتشاعرات العرب إلى «المربد» لتوثينه، وحرق بخور النفاق فى مهرجانات شعرية متواصلة، وقد أمر الطاغية أن تكتب قصيدة «أحدهم» بماء الذهب على بوابة «الفاو».

واليوم تحول هؤلاء بشعرهم ونظمهم إلى سب صدام، والبكاء على اللبن المسكوب.

وقصيدتى هذه حديث من العقل والقلب موجه إلى هؤلاء المربديين..

بُـوءوُا بإثـــمِ الـوثَـنِ
أنتـمْ ــ وليـس غيـركمْ ــ
صنعتمـوهُ .. مـــن تـــرابٍ عَفِنِ
مـن كلِّ بوْرةٍ حقيـرةٍ
أخـــذتـمْ قبضَــةً
... عجنْتُموها طينــةً
فيها نفختُمْ روحكـمْ
زرعتُـمُ نخاعَكــمْ
حتى استوَى صدّامْ
ــ فى ليلةٍ ظلمـــاءْ ــ
جهـــالةً جهـــلاءْ
عمـــايةً عميـــاءْ

مِشْـــخاً غــويّاً
شائِهَ الضميرِ والأهْواء
لكنــــكمْ ...
ــ يا حسرةً على العبادــ
قدمتُمُ إليه «شهرزاد»
هــــديةً محنطـــــةْ
مجلودةَ الأطرافِ واللسانْ
وبعــدَ ليلةٍ ضـــريـرةٍ
... مهتــوكةِ الأجفــانْ
وسَّــدْتُمُ كـلامَها المباحْ
وجثـــةَ الصبـــاحْ

● ● ●

بوءوا بإثم الوثنِ
إذ كِلْتُمُ له التسبيحَ
والتحميدَ والثناء
في فجركمْ .. وفي الضحى
وفي المســاء
جعلتُمُ جباهكمْ لهُ نِعالا
إذ طغَــــى
وقلْتُمُ «نعم السياسةُ والعدالةُ»
إذ بغَـــــى
«لبيكَ منقذَ العربْ

يأيها الحسيبُ والنسيبُ
والمسجّلُ البطولاتِ العَجَبْ
يا هــازمَ اليهــودِ
والافــرنجِ .. والمجــوسْ
يا حاميَ البوابةِ الشرقيةْ
يا ســعدَها
فى القادسيةِ العتيّةْ
خُطتْ حروفُها من الذهبْ
يا مُحييا بالبعثِ أمــةَ العربْ
ما شــئتَ
لا مــا شــاءت الأيامُ
أنتَ الزعيمُ الفذُّ يا صدامُ »
يا حســرةً على العبــادْ
فلْتــذكــروا
لا تنكــروا
فأنتُمُ فرطتُمُ فى الكلمةْ
ســحلتُموها
بعتمــوها
ســلعةً ذليلةً .. أمَــةْ
وفى الطريق للأسواقِ
قبــلَ بيعِهــا

أجَرتُموها للرعاعِ الأثمة
بقطعةٍ من الثريدِ والقديدِ
ساعةً أو ساعتينِ
للدلالِ
والتقبيلِ
والعناقِ
والمضاجعة
وقبلَها ...
أحكمتُمُ وثاقَها
كي لا تُرى لآثمٍ ممانعة

• • •

يا حسرةً على العبادِ
والتاريخِ والعربْ
نسيتُمُ ـ يا سادتي الشعراءْ ـ
أن الحروف عزةٌ شمّاء
معينها السماء
وحينما تقطّرُ.. وتُنْظَمُ
في كِلْمَةٍ وبيتِ شعرْ
تصيرُ في الأسماء
«عرضَ الشريفِ الشاعرِ»
فكيفَ بعتُمْ عرضَكمْ

للتـافهِ الجبّـارْ
صـدّامِها الغـدّارْ
فعشْتُمُ فضيحةً وعـارْ
ودُسْتُمُ في خسّـةٍ « بشـارْ»
حين اسـتوى وثارْ
وأشـعلَ الحـروفَ
مارجـًا مـنْ نـارْ
« إذا ما غضبنا غضبةً مضريّةً
هتكنا حجابَ الشمسِ
أو قطـرتْ دَمـا
إذا ما أعرْنا سيدًا من قبيلةٍ
ذُرا منْبَـرٍ...
صلى علينا وسلّما »
وقلـــتُمُ :
مـا هــذه أشـــعارْ
القــولُ قولُنــا ..

في مربدِ الشعراءِ والسـمارْ:
إذا ما الزعيمُ الركنُ شاء خَرابَها
فتخريبُها بُشْرَى وخيـرُ عمــار
فَخَـرِّبْ زعيمَ البعثِ أنت عُذَيْقُها
وصدامُها في شـدةٍ وغمــارِ

يا حســـرة على العبادِ ...
والرجـــالِ .. والـــودادِ ..
والمصـــيرِ .. والبيـــانِ .. والمـــداد ..
والقـــــــلمْ :
هل تنفعُ الأحزانُ والدمـــوعُ ...
والنـــــــدمْ .. ؟
يا ســـــــادتى ...
ولات ـــ فى أيامِنا التى نعيشها
ولا تعيشـــنا ـــ نـــدمْ . ،

الظهران ـــ ديسمبر ١٩٩٠

(١) البيتان لبشار بن برد (٢) العذيق : القوى

أغسطس الأعراض والدماء

يوميات جندي عراقي
في
الكويت المنهوب

هـــذه اليومـــيات

هذه اليوميات كتبها ــفى شكلها النثرى الأصلىــ مجند عراقى من مدينة بعقوبة العراقية اسمه «مقداد محمد حسنين» (*) كان يعمل مدرساً للمواد الفلسفية بالمرحلة الثانوية، وكان ضمن القوة الأولى التى دخلت الكويت، وكان فرداً من أفراد إحدى الكتائب التى اشتركت فى معركة قصر دسمان

وقد أوهمه قادته ــهو وإخوانهــ أنهم ذاهبون لضرب إسرائيل وتحرير القدس والضفة الغربية ــعلى الأقلــ ثم فوجئوا بأنهم فى مدينة الكويت. يقول المجند مقداد فى يومياتهــ بالحرف الواحد (الخميس ٢من أغسطس)

> «ولم أعرف أننا خُدعنا عن أنفسنا إلا بأذان الفجر، لأننى أعلم أن «تل أبيب»ــ التى زعموا أننا سندخلها بعد ساعات من خروجنا من البصرةــ ليس فيها مساجد. وقلت فى نفسى: ربما كنا فى إحدى مدن الضفة الغربية. والسر فى حيرتى أننى ظللت نائماً طيلة بقائى فى الدبابة..
>
> والذى أكد لى أننى فى الكويت لافتة مكتوب عليها «الزم اليمين إذا كنت متجهاً إلى شارع عبد الله السالم..» وأنا لم أزر الكويت من قبل، ومن ثم لا أعرف أسماء شوارعها، ولكننى أعرف أن عبد الله السالم أمير من أمرائها السابقين..»

(*) اضطررت لاستبدال أسماء مخترعة بالأسماء الحقيقية لسبب لا يخفى على القارئ.

كتب المدرس المجند هذه اليوميات التى استغرقت شهر أغسطس سنة ١٩٩٠ ابتداء من الأول منه وانتهاء بالحادى والثلاثين منه ، ولكنه لم يكمل اليومية الأخيرة التى جاءت فى صفحة وثلاثة أسطر. وكان مقداد يستخدم كراسة عادية من كراسات التلاميذ.

• • •

وجاءت هذه اليوميات فى عشرين يومية على مدار شهر أغسطس ـ كما ذكرت مع ملاحظة أن هناك فجوات زمنية تتخللها وخصوصاً الأيام الأولى والأيام الأخيرة من الشهر. كما نلاحظ أن قرابة نصف تلك اليوميات جاءت على التوالى ـ دون أن يكون هناك فجوة زمنية بين يومية وأخرى ، كما نرى في اليوميات من الخامس عشر إلى الثانى والعشرين من أغسطس ، واليوميتين ٢٤، ٢٥ من الشهر.

ولكن يبقى هذان الملحظان شكليين : فانتظام اليوميات على التتابع المتواصل ليس بالأمر الحتمى الملزم ، لأن الكتابة ترتبط أساساً «بقابلية» صاحبها ـ من ناحية ـ وبالظروف المحيطة به من ناحية أخرى. وربما توفرت القابلية ، ولم تتوفر الظروف المواتية ، وربما تهيأت الظروف ، وغابت قابلية الكاتب للكتابة.

• • •

وقد تلقيت هذه اليوميات من أخ باكستانى يدعى «محمد مصطفى يقينى» ـ وكان واحداً من طلابى فى إسلام آباد ـ وهو تلقاها بدوره من شقيقته «عظمى» التى كانت تعمل ممرضة بمستشفى الصُباح بالكويت حيث كان ينزل المجند الجريح مقداد.

• • •

وأهم من كل أولئك ـ وهذا ما يحتاج إلى وقفة ـ أن يتعرف القارئ

على الطبيعة الفكرية والأسلوبية لهذه اليوميات فى لغتها الأصلية التى كتبها مقداد بها. ويتعرف كذلك على الصورة والشكل الفنى الذى قدمنا فيه اليوميات:

كتب مقداد هذه اليوميات بلغة نثرية مباشرة هى أقرب فى أسلوبها إلى الأسلوب الصحفى. وكان يلجأ إلى عادة غريبة وهى ترقيم الفقرات، وعدم الاكتفاء بترقيم الصفحات. فمثلاً جاءت اليومية الأولى من ١٩ فقرة مرقمة من (١) إلى (١٩)، واليومية الأخيرة ــ أو ما كتب منها ــ فى ٥ فقرات، وكتب رقم (٦) وليس بجانبه إلا عبارة «يوم يا سلمى ...».

كما لاحظت ــ فى نطاق هذا الترقيم ملاحظتين:

الأولى: أنه كان يضغط بالقلم عليها وهو يكتبها ضغطاً يكاد يؤدى إلى كتابة الرقم حفراً، وكذلك الدائرة التى يضعها حول كل رقم.

والثانية: أنه كان يكتب رقم الفقرة أولاً ثم يشرع بعد ذلك فى كتابة الفقرة. يدل على ذلك أن الفقرة السادسة من اليومية الأخيرة ــ مع تسجيله رقمها ــ لم يكتب منها إلا ثلاث كلمات.

وقد يكون تفسير هذا الترقيم ــ وبهذه الصورة ــ شدة حرصه على ألا يضيع من هذه اليوميات شىء.

• • •

أما القيمة الفكرية والسياسية لهذه اليوميات ــ فى صورتها الأصلية فترجع إلى أنها ــ بما فيها من تلقائية وعفوية ــ تعبر تعبيراً صادقاً عن حقائق متعددة أهمها:

١ ــ أن الجيش العراقى «جيش مكره مقهور».. جيش مغلوب على أمره، تسلط عليه قادته، وأرغموه على إتيان ما لا يتفق مع دينه وعقيدته وعروبته.

٢ــ أن القيادة العراقية ــ ابتداء بصدام، وانتهاء بكبار الضباط ــ قيادة أيسر ما يقال عنها أنها قيادة «غير طبيعية» فى أسلوب تفكيرها، وأبعادها النفسية والعقلية، ومعاييرها العسكرية والسياسية وطبيعة تقييمها للأمور. فهى قيادة يحكمها الصلف والغرور ومجموعة من العقد النفسية العاتية. وكل أولئك عزلها عن الشعب وعن العالم: شعوباً وقيادات وأحداثاً ومؤثرات، فتقوقعت، وصنعت لنفسها «عالماً خاصاً» بها، لا يسمح لها بالرؤية أبعد من أنفها.

• • •

وزيادة على ذلك تبقى يوميات مقداد رؤية خاصة لأبعاد النفس، وأبعاد المجتمع العراقى فى فترة تعد أحرج فترات حياته. وهو عمل يمثل شريحة من فن نثرى معروف هو فن «الترجمة الذاتية».

• • •

هذا هو ما قدمه «مقداد» ــ وعندى أصله المكتوب بخط يده، وهو الأصل الذى أرسل إلىّ به من إسلام آباد «محمد مصطفى يقينى»، وقد خطر لى أن أنشر هذه اليوميات بنصها النثرى كما كتبها صاحبها. ولكنى آثرت أن أحولها من أسلوبها النثرى إلى «شعر» منظوم وكانت حجتى ــ أو حججى ــ فى هذا المسلك ما يأتى:

١ــ أن لغة الشعر غالباً أكثر توهجاً وجاذبية من أسلوب النثر مهما بذل فى تجويده وتنميقه.

٢ــ أن فن «اليوميات الشعرية» تكاد تخلو منه المكتبة العربية ــ قديماً وحديثاً ــ. وما وجد منه حديثاً لا يمتد إلا لعدد من الأيام لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة.

٣ــ أن الحقائق والفظائع التى ارتكبها الجيش العراقى، وأعنى بها تلك

التى ذكرها مقداد فى يومياته تعد شيئاً متواضعاً جداً بالقياس إلى ما ارتكبه، ويرتكبه قادة الجيش والبعث فى الكويت وفى العراق. فبقى أن نعوض عن هذه «العادية الحدثية» بأسلوب متوهج هو أسلوب الشعر.

• • •

أما النقطة الأخيرة ـ وهى أهم النقاط كلها لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بالأمانة العلمية ـ فتقتضى التفصيل الآتى:

١ ـ ترجمت هذه اليوميات ـ كما ذكرت آنفاً ـ من لغتها النثرية الصحفية إلى «لغة الشعر». وقد استعملت تفعيلة «المتدارك» فى صور ثلاثة «فِعْلن» و«فَعِلن» ـ وهو ما استخدمه القدماء ـ زيادة على «فعْلّن»، وهو ما أكثر منه المحدثون من شعراء الشعر الحر. واطرد هذا الوزن فى كل اليوميات على وجه التقريب.

٢ ـ ألزمت نفسى إلى أبعد حد ـ مع صعوبة ذلك أحياناً ـ بإيراد أغلب الوقائع والأحداث التى جاءت فى اليوميات النثرية، ولم أسقط منها إلا أقل القليل لضرورات أخلاقية وسياسية وفنية.

٣ ـ تكاد اليومية الشعرية الأولى تكون أقرب اليوميات ـ فكراً وكما وأسلوباً ـ من اليومية النثرية، وخصوصاً الحوار الدائر بين مقداد والرائد فتحى، وهو من «بعقوبة» مسقط رأس الجند «مقداد» كاتب اليوميات.

٤ ـ جاءت اليومية الشعرية الأخيرة ـ وهى من أطول اليوميات ذات حظ من الفن أرحب بكثير من حظها من الالتزام، وإن دارت ـ بصفة أساسية حول محوريها الرئيسيين فى رسالة وجهها مقداد لابنته سلمى وهما:

ـ موازنة سريعة بين عظمة العراق فى الماضى وخصوصاً عصر هارون الرشيد، وهبوط العراق إلى الدرك الأسفل فى عهد الحكم البعثى.

ـ التشاؤم ، والشعور الحاد باليأس من مستقبل وضيء للعراق وبغداد .

٥ ـ وحتى يدرك القارئ الفارق بين «لغة النثر» التي اتخذها مقداد أسلوباً ليومياته ، ولغة الشعر التي عالجنا بها هذه اليوميات أعرض على القارئ بعض النماذج من اللونين .

أ ـ جاء في يومية الأربعاء (١٩٩٠/٨/١٥) بالحرف الواحد «...فلما سمعت هذه الآيات القرآنية العظيمة شعرت براحة نفسية عميقة ، ونمت نوماً عميقاً ، لم يتخلله الأرق طوال الليل . » .

وعبرت شعراً عن هذه الفكرة بالصورة الآتية :

« وشعرت كأني أسبح

في بحر من زئبق

وأعانق موجات من عطر شفاف

ومواكب من حور الجنة

تهتف باسمي

حتى يغمرني نوم ممتع

ب ـ جاء في يومية الجمعة (١٧ من أغسطس) بقلم مقداد :

« أشعر بالشوق الشديد لبنتي .. وحيدتي سلمى ، ولا أدري عن أخبارها شيئاً ، كما لم يصل إليّ حتى الآن أي رسالة من زوجتي تطمئنني عليها .

لقد شاء لنا الحكام أن نبعد عن أهلنا دون سبب وجيه معلوم ، وأرادوا منا أن نقتل الأبرياء . ولكني أحمد الله لأنني لم أقتل بريئاً أو حتى مذنباً إلى الآن . وفي معركة «قصر دسمان» لم أصب واحداً من حرس القصر بسوء » .

وعبرت عن هذا المضمون بالأسلوب الشعري على الوجه الآتي :

آه يا سلمى

يا فلــذة كبــدى
يا نــور كيــانى
يا عطــر بيــانى
خدعونا يا ســلمى القلــب
وأرادونا ســفاحين وقتلة
أمرونا أن نختــق ضــوء الشمس
وأن نطــرد زخــات المطــر بعيداً
حتى لا تخصــب أرض
أو تتطلع عيــن نحــو ســماء
وأرادونا ــ يا ســلمى ــ
بقــلوب كافــرة عميــاء
لكــنْ حــمداً للــه
جــاءت كل رصاصاتى يوم الدســمان
إمــا فى جــدران صــماء
أو عبــــر فضــــاء »

• • •

وواضح أن المنطق الفنى، يقتضى الأديب توسيع رقعة بعض الأحداث، واختصار بعضها، واختراع بعضها الآخر حتى لا يتوقف عمله عند حد « الرصد التسجيلى » الذى لا يحسب من الفن فى شىء .... وقد لجأت إلى شىء من هذا مع حرصى الشديد على ألا أخدش « بعملى الفنى » اليوميات النثرية فى أساسياتها ومحاورها ومضامينها الفكرية

• • •

ومن حق القارئ أن يبدى شكه فى صحة هذه « اليوميات النثرية » .. ويطرح سؤالاً مؤداه : ألا يمكن أن تكون هذه اليوميات مزورة مدسوسة على

من نسبت إليه، وخصوصاً أن الشاهد الرئيسى فى القضية قد انتقل إلى رحمة الله، وهو الجند مقداد محمد حسنين الذى نسب إليه كتابة هذه اليوميات، وقد يقوى من هذا الاعتراض أو الشك أن أعداء الحكم العراقى على مستوى العالم كله أكثر من أن يحصوا عدداً.

وأنا لست مع هذا الاعتراض بأية حال، وتتلخص أسانيدى فى رد هذا الاعتراض فيما يأتى:

١ــ أن ما ذكر فى هذه اليوميات من جرائم بعض ضباط الجيش العراقى لا يعد شيئاً بالنسبة لما يرتكبونه علناً ويعرفه العالم كله. فهذه اليوميات إذن لم تكشف سراً ضخماً من الأسرار الخافية على الناس.

٢ــ أن الكراسة التى سجلت اليوميات فيها وصلت إلى بحالة سليمة، وإن كان على ورقاتها الأولى آثار زيت.

٣ــ أن أرقام الفقرات فى كل يومية جاءت مسلسلة متسقة مطردة.

٤ــ فى صلب اليوميات ــ وبألفاظ صريحة ــ ما يخدش حياء عظمى من تصرفات وأقوال ومغازلات فاحشة من الضباط العراقيين بمستشفى الصباح. وقد سجل مقداد كل ذلك فى تضاعيف يومياته، وإن لم تستقل بها يومية واحدة. وقد أبقت عظمى وشقيقها محمد على هذه العبارات كما هى. ومما يقطع بأنهما قد اطلعا على اليوميات اتصال محمد هاتفياً من باكستان بأبنائى فى القاهرة بعد إرسال اليوميات بعدة أيام طالباً إسقاط هذه العبارات من اليوميات عند طبعها، وكنت قد غادرت القاهرة إلى الظهران دون علمه وهذا يعنى أن واحداً منهما لم يعبث بسطر واحد من سطورها.

٥ــ ولو افترضنا أن هذه اليوميات موضوعة مزورة ــ وهو افتراض بعيد جداً لما ذكرناه آنفاً ــ لقلنا أن التزوير كان من الإتقان إلى حد يقربه

جداً من الواقع الصحيح. إذ أن المكتوب فى هذه اليوميات يصور الواقع بل جزءاً من الواقع المر التى تعيشه الكويت... ويعيشه شعب العراق..

ولأترك القارئ لهذه اليوميات فى صورتها الشعرية وليستفت قلبه، وإن أفتاه الناس.

يوم الأربعاء

الأول من أغسطس

حَـالةُ الاستعدادِ القصـوى
مائـةٌ فى المـائةِ طـوارئ
وأشاهدُ همساً بين الضباطْ
ووجـوه كبارهمُ يبـدو فيها الجـدّ
الرائدُ «فتحى» من بلدى بعقوبةَ
لم أرهُ من قبلٍ إلا مبتسماً
وكثيراً ما كان ينادينى فى مكتبه :
ـــ أَغْلِق بابَ المكتب يا مقدادْ
واجلـس واشـرب كأساً
مـن عَـرَقِ البصـرة
ليسـت باردةً
ـــ فالمكتب ليس به ثلاجة ـــ
لكنْ شيئاً يرخى الأعصابَ المتوترةَ
خيـرٌ من لا شـىء
ـــ عفـواً يا فنـدمْ
فأنا ـــ مهما كنا بلديات ـــ

جنديٌّ مرءوسٌ
وسعادتكم .. رائدُنا ورئيس .
ــ أجلس يا مقدادْ
أوَلَسْتَ مدرسَ فلسفةٍ
خريجاً من خريجى الجامعة العليا
ومجنَّدْ . . .
يعنى لستَ من الجندِ الدهماء
ــ ومحبٌّ للشعرِ كذلك
ــ تنظمُ شعراً ؟
ــ يا ليت . . .
لكنى أحفظُ من شعرِ العربِ كثيراً ،
ليسَ مجرّد حفظ
بل إنى أحياهُ . . .
أتفاعلُ مَعَهُ . .
ــ فتفاعلْ يا مقدادْ
يا حافظَ شعرِ العربِ
مع العرق
ــ لكن يا فندمْ
ــ لا لكنْ . . . أو ليتْ
العرق سيمحو الرتبةَ
يمحو الفارقَ .. يمحو الجيش .
وأضاحكه وأقول :

إن كان العــرقُ سَيَمْحــو العقــلَ
فكلُّ الباقى من بابِ اللَّمَــمِ
يا مقــــداد
اطــرحْ عن نفسك كلّ هموم الدنيا
فشــاكلُها ــ مهمــا كانــت ــ
ضَعْها دَوْمــاً تحت حــذائك
ــ تحــت حــذائى ؟!!
من عجب ــ يا فنــدم ــ
ليسَ هنالِكَ ما يشغلنى
غيــرُ حــذاء :
ســلمى بنتى ــ وهى وحيــدتُنا ...
بنت الســنواتِ الســت ــ
أعطتنى آخِــرَ مهــله ...
للثانى من شــهرِ أغسطس
ــ سيكون خميساً إن شاء الله ــ
إنْ لم أتحفها بحذاءٍ للمدرسة جديد
ســتخاصمنى .. وتقاطعنــى
وســتعلنُ فى مســكننا ثــورة
ــ شــىء طيــب
أســتاذ الفلســفة تخــلى
عن إعمالِ الفكــر بعمــقٍ
فى أبعاد الكون الظاهر منه والخافى

كـــى ينشغلَ بمشكلةِ حــذاء

ــ يا فنـــــدم ..

وما أمــرُ الحــذاء يشــدُّ عقــلى

ولكـــنْ حــبّ من طلبَ الحــذاءَ

• • •

كانت هــذى حالى معــهُ

لكنـــى أشــهدُه الليلةَ شكلاً آخـــر

الوجــهُ كوجــهٍ من صــوّان

والبســـمةُ

ما عـــادَ لها فى الوجــهِ مكـــانْ .

يَخْطــو للمكتبِ هــرولةً

ورفعـــتُ يمينى بالتعظيمِ أحيّيـــهِ

نظـــرَ إلىّ ، ولـــم يرفــعْ يــده

قطعـــاً فى الأمـــرِ خبـــىءٌ

جــدّ خطـــيرٍ لا أعلمُـــهُ

• • •

الشمـسُ تلـــمُّ أشـــعتّها

وتغــــوصُ بعيــــداً

فى الأفـــقِ الممتــد

وأحـــسُّ بليلِ الصـــحراءِ

أمامـــى يتثـــاءب

ويمـــدُّ جناحيه يعـــانق آمـــاد الكـــون
ومعســـكرُنا الراقـــدُ فى صحـــراء البصـــرة
لا تبـــــدو منـــــه
غيـــر عيـــون مصـــابيح
شـــاحبة رمـــــداء

• • •

فجـــــأة ...
وبـــلا ســـابق إنـــذار
هتـــك الصمـــت «نفيـــرُ خَطَـــرْ»
«اجمـــعْ ... نفِّـــذْ
الليلة نزحـــفُ نحـــو القـــدس
الليلة نقصـــمُ ظهـــرَ عدوتنـــا
إســـــــرائيل ..»

• • •

كـــدتُ أطيـــرُ مـــن الفـــرح ...
قلبى يســـبقنى للقـــدس العـــربية
ويعـــانقُ محـــرابَ المســـرى
ويكحـــلُ عينيه بعطـــرِ الصخـــرة
وأذوبُ ... أذوبُ ..
وأفنـــى شـــوقاً

حتـــى أنســـى أنـى
مـــن حمـــإٍ مســـنون .
يا أمـــلَ الأمـــةِ يا صـــدامْ
أوْعَـــدتَ ولـــم تكـــذبْ
يا بطـــلَ العـــربِ المغـــوار
«لـــن إتـــوانى عـــن أن
أحـــرقَ إســـرائيل .. »
يا أمـــل الأمـــةِ .. يا صـــدامْ
يا شـــعلةَ نـــار ..
يا إعصـــارْ
بيـــديك ســـينتصر الإســـلامْ
حقـــاً أنتَ ســـليل البيت الطـــاهر
من نســـلِ حســـينٍ والحســـنِ
وعلى بن أبى طـــالبْ
من أذهـــبَ عنهم ربى الرجـــسْ
من طهـــرهم تطـــهيرا
وســـتبقى يا صـــدام الخيـــرِ
المنتصـــرَ الغالـــبْ .

• • •

يمضـــى موكبنـــا العـــارمُ
يســـحقُ صمـــتَ الليـــل

وينطــقُ بالويــل
فعلى صــدر الأرض زحــوفُ حــديدٍ
يهــدر فى عــزة
أما فى الجــو فأســرابُ نســور
تبــرقُ بالمــوت العــاتى.
فنقبّلها بعيــون ظمئى للنصــر
تتطــلع للفجــر القــادم
بخيــوط ذهبيــة
كــى يصنــع ثــوب المجــد
لأمتنــا العــربية
ماذا كان الوطــن العــربى سيفعل
لولا صــــــدام
لا شــك ســيبقى ــ كالعــادة ــ
وطنــاً مقهــوراً ..
ويظــل غثاء كغثاءِ الســيل
يســقيه الصهيونيون
كئــوس الويــل ...
فــلا ينبض فيــه عــرق من عــزه
بل يبقى فى كفــن الصمــت .

● ● ●

وأغنــى أنا والطــاقم

فى دبابتنا الشـــماء

« اليــوم لنــا

ســعد وهنــا

وغــدا فى حيفــا وتل أبيب

قــد زحــف البعث لزهــق الباطــل

إن الباطــل كان زهــوقا »

يوم الخميس
فجر الثاني من أغسطس

ــ غادرْ مركبتك بالأمْــرْ
الكتيبــة الخامســة
تشكيلاً في رأسِ السَّــهْم المقــلوبْ
مقــدادُ على رأسِ السَّــهْمِ
تقـــــدَّمْ ..

● ● ●

مــا هـــــذي ؟
آه ... هــذي قطعــاً تل أبيب
هــذي أنت أخيــراً تل أبيب
لكنـــي أســمعُ صــوتَ أذان
هــذا واللّه أذانُ الفجــر
يســري كــرزاذ مــن عطــرٍ ســاحر
عجبــــاً .. !!
فأنا أعلمُ : ليــس بتل أبيبَ مســاجِد
وذُهلتُ قليــلاً عن نفســي

ثم أفقــت :
هــذى لافتــةٌ فى رأسِ الشــارع
قــد كتبتْ بالخــط الفسفورى الواضــح
« المتجــهُ لشــارع عبد الله الســالم
يلتــزم يمينَــهْ .. »
ــ اضــربْ وتقــدمْ نحــو القصــر
ــ القصــرُ ؟
أيعنــى هــذا القصــر ؟؟
القصــر شــظايا
دكَّتْــهُ صــواريخُ الطــيران
صــارتْ جــدرانُ القصــر فتــاتْ
ما كان هنالك بين الأنقــاضِ
ســوى طلقــاتٍ
متقطعــةِ الأصــواتْ
يرسلها بعــض الجــرحى
مــن حــراسِ القصــر
لكــنى أســمعُ من تحت الأنقــاض
صــراخَ جــريح متحشــرجْ
ــ يا فهــدُ الأحمــد
يا فهــدُ الأحمــدُ فلتهــربْ
ــ المســلمُ لا يهــربُ وقت الزحــف
ــ « إلا متحــرفاً لقتــال

أو متحيزاً إلى فئة » .
فلتتحرفْ .. أو تتحيزْ
أنت وحيدٌ يا ولدي
لن يجدي معك الرشاشُ
لكسْرِ الموج البعثيِّ الكافر
ــ سأقاتلُ عن أنداء الفجرِ
ونورِ الشمسِ
وعطرِ الأرضِ
وعرض كُويتي
وكويتِ الإسلامِ
... كويتِ يتامى العربِ ...
سأقاتلُ حتى ....

• • •

سقطَ الفهدُ
ومدفعُهُ الرشاشُ معه
صمتَ الإثنانِ إلى الأبدِ
اسحق بالدبابة
جثث القتلى
ــ يا فندم قد سقطَ القتلى
فلماذا أسحقُ أجساداً ماتت ؟
نفِّذْ يا كلب .

ورأيت الجنديَّ الصاوى
ــ وهو زميلى فى «طقم» الدبابة ــ
يصدع بالأمر على ضجر.

• • •

دارت بىَ الدنيا
رأيتُها صفراء أو سوداء أو حمراء
يا حسرتى على فتًى صَمَد
ولم يكن له
من غيرِ نفسِهِ سند
وظلّ وحدَهُ يقاتلُ
ويرفضُ التسليمَ
فهْوَ سُبَّةٌ ... معرّةٌ
إلى الأبد
لكل ذاك مات الفهدُ ...
موتةَ الأشرافِ
فى الميدان لا على فراشِه .

• • •

صوتُ الرائدِ فتحى يزأر
بين الدمِّ المهدرِ والأنقاضْ
وسحاباتِ الدخّان المتصاعدْ

ـ ارقُــدْ خلــفَ المدفــع
فى وضع اســتعدادٍ كاملْ .

• • •

وشــعاعُ الشــمــسِ الدامــى
يغمــرُ أرجــاء الســاحة
أنظــر للأجســاد المطحــونة
والأشــلاء المحــروقة
تحــت الدبابات .
ـ يا فهــدُ الأحمــدُ يا مســكينْ
ماذا ســيقولُ التاريخُ ؟
هــلْ ستُصنِّفُ ..
فى باب الأبطالِ الأســطورة ؟
أم ســيُعَدُّ ثباتُك منفــردًا
فى وجــهِ منــايا لا ترحَــمُ
طيشــاً .. وجنــوناً ...
واستهتارًا بحقــوقِ الذاتْ ؟
ولــبدنك يا فهــدُ عليك حقــوق
... يا فهــدُ الأحمــد ..
لِــمَ لــمْ تهــربْ يا مســكينْ ؟
لكــــــنْ ..
هل كان الهــربُ يطيلُ العمــر ؟

لا .. فلكلٍّ منْ آجالِ الخلقِ كتــابْ
وإذا حُــمَّ قضــاءُ الإنســانِ
فــلا مهــــــربْ ..

⊛ ⊛ ⊛

وأعـــــدتُ النَظَــرَ
إلى الأجســاد المطحــونة
وظلالَ ضباب كانت تغشاها
وقريباً منها أشْـــهدُ شيئاً يشْــرق
يــاه ... لــؤلــؤةٌ تلمــعُ !!
تعكـــسُ بعـــضَ شـــعاع الشمس الدامـــى
لــؤلــؤةٌ ــ قطعــاً ــ ســقطت
عفْــواً مـنْ جيــب قتيــلٍ
فى ســاحةِ دســمانْ
فعــلاها بعــض غبــارٍ
ممــزوجٍ بدمــاه
لكــن ظلّتْ ببــريقٍ أخــاذٍ
تتحــدى المــوتْ
ومــددتْ يــدى ...
يا للــه !!
كـــــانت عينـــــا
هــربتْ من وجــهٍ مهشــوم

وجـهِ قتيـلٍ
كانت تبرقُ فى وجهِ الشمس بحـدّة
بل كانت تتحـدانا فى إصـرارٍ بالـغْ
وكأنّ حيـاةً أقـوى من كـلّ بنادقنا
دبّـتْ فيـها ..
لـم أشـعرْ إلا وأنا ...
أخـرج منـديلى من جيـبى
ومـددتُ يـدى
ولففت العيـن بمنـديلى
وشـعرتُ كـأن نسـيمَ
ربيـعٍ عـانقَ صـدرى
فى هـذا الجـو المسـعور الحـارق
والعـين المسـكينة
ترقـد داخـل جيبـى
أحسـستُ بأن هنـاك
جـديداً دخـل حيـاتى
«نامـى يا عين قتيـل مظـلوم
فى جيبـى الأيسـر ...
فـوق القـلب ...»
ــ عيـنٌ فى منـديلى ...
فى الجيـب الأيسـر ..
فـوق القـلب .. ؟!

ــ مــا الغـاية مــن فعلى هــذا
ــ لا أدرى ...
حقــا لا أدرى
وكأن هنالك قــدراً جبــاراً
يدفعـــــنى ...
ويشــدُّ يــدى
لتــؤدىَ مــا قامــتْ به

● ● ●

فجــــــأة ...
صــوتُ رصــاص مجــنونٍ
لا أدرى ما مصــدره
... غــامتْ عينــاى ...
خــدَرٌ يســرى فى أوصــالى
خفَــتْ كــلُّ الأصــوات
حتــى صــارت فى عينــىَّ
كمثــلِ هسيسِ الأشــباحِ الســكْرى
مــا عــدت أشــاهدُ شــيئاً
أو أســمعُ شــيئاً ..

يوم الأحد
الخامس من أغسطس

عينـــاى أحـــاول فتحـــهما

مـــا هـــذا ؟ ... أين أنا ؟

أشـــعرُ أنى أســـبحُ فى قطـــعٍ

مـــن ليـــلٍ وضبـــاب

لكنْ تدريجياً تتضحُ الرؤيةُ منْ حولى

أيـــن أنـا ؟

لا مدفـــعَ ... لا خنـــدقَ

لا حـــلّةَ صـــفراء

أتمـــددُ فـــوق ســـريرٍ أبيض

وعلىّ ثيـــابٌ بيضٌ ضافيـــةٌ

وطبيبٌ كـــورى يحقننى

أســـألهُ :

« فى أى مكان أرقـــدُ يا دكتـــور ؟ »

ــ فى مستشفى صـــدام ترقُـــدُ

ــ فى بغـــداد ؟

يبتســـمُ ...

ويهــزُّ بنفــي جبهتَــهُ ..

ويتــمتــم ..

ــ كان الإســمْ الأصليُّ «صبــاحٌ»

لا صــــــدامْ ..

أعنى قبــل قيامِكُمْ بالغــزو

ــ لكــنْ كيــفَ أتيتُ هــنا ؟

قــلْ لى بالله .. وماذا بى ؟

ــ لا تتحـــركْ ...

مــن فضــلك لا تتحــركْ

فى ســاقِكَ جــرحٌ غــائرْ

ســتُّ رصاصات ســكنتْ

فى عمــق الســاق

أخــرجْنــا منهــا خمســةْ

لكــنْ أخفقْنا أن نخــرجَ منها السادسةَ

قــررنا أن نتــركهَــا .

يبتســمُ ويُــردف :

ــ ســتظلُّ رفيقــةَ عمــرِك

ــ والجــــرحُ ؟؟

ــ يحتاجُ لشــهرين ليُشــفى .

● ● ●

وتنفشــتُ الصُّعــداءَ

وهمستُ لنفسي :
ـ حمداً لله
لا تَنْدمِلَنْ يا جُرحى الغالى
ولتتقيحْ فى كرمٍ متواصلْ
ولتبقَ لعامٍ أو عامين .

• • •

يبتسم طبيبى الكوريُّ
ويتمتمُ فى صوتٍ أسمعُهُ :
ـ تل أبيب ... إسرائيل
صدامٌ ... هدامٌ ... لا أدرى ..
الإسراءُ .. والمعراجُ
ونورُ المحرابِ ... »
أساله فى استغرابٍ وذهولٍ
ـ ما هذا .. يا هذا ؟
ـ هذا ما كنت به تصرخ
أعنى تهذى
فى يومَىْ غيبوبتِكَ المتصلة

• • •

آه .. القدسُ .. ونورُ المحرابِ
ومسرى خيرِ عبادِ الله

وا أسـفاه ...
خدعُونا فى بغـداد وقـالوا ..
أنا نزحـفُ نحـو القـدس
ولكنا نكتشفُ بأنا نحـرقُ ربعـاً عربياً
ونُسـعِّر فيـهِ ملحمـةً قـذرةْ
يا بغـــداد
معـذرةً .. أكـرهُ شكلَ الأنقـاضِ
أكـرهُ صـوت النـارِ
ولـونَ الـدمْ
أكـرهُ أن أشـهدَ جسـداً مطحـوناً
بجنـازيرِ الدباباتْ

● ● ●

وصـرخت .. بصـوت مكتـوم
آه ... فهـدُ الأحمـد
والأجسـادُ المطحـونةْ
والأشـلاءُ المحتـرقةْ
اللـؤلـؤةُ .. العيـن ...
قميصـى الكـاكىُّ ... ؟!
أينَ قميصى الكـاكىُّ ؟
حمـداً للهِ .. أراهُ على المشجب ..
«من فضـلك يا سِـسْـتَر

هـاتِ قميصـى .. »
وتحسستُ اللـؤلـؤةَ العصمـاء
بجيـب قميصـى
حمـداً لله ... فما زالت فى المنـديل
بجيب قميصـى ، لـم تُفْقَـدْ
كانت تنظـر فى وجهـى
بفتـورٍ شـاحبْ
لكـن ... وا أسـفاه
بـدأتْ تـذوى
مثلَ الزهرةِ جَافَتْها أنْداءُ الفجْـرْ
ربـــاه ...
حتـامَ تظـل العينُ بمنـديلى
تشـركنى حجـرة نـومى ؟!!
مـاذا أفعـلُ يا عينَ المقتـولِ المجهـول ؟
مـاذا أفعـل ؟
مـاذا أفعـل ؟

يوم الثلاثاء
السابع من أغسطس

تُدعى «عُظمى» ... من «لاهور»
إحدى المدن الكبرى في باكستان
وهي ممرضةُ العنبر رقْم ثلاثةٍ
في الدور الثاني بالمستشفى
حيثُ سريري يتمددُ في إحدى حجراته
هادئةُ اللهجة والطبع
طيبةُ القلب ـ كما تبدو ـ
معجمُها في العربية
يوهمُك بمولدها أو نشأتها ..
في بلدٍ عربيٍّ
مَعَ أنّ إقامتها «بكويتٍ»
لا تتجاوزُ خمسَ السنواتْ

• • •

بمساعدةِ ممرضةِ العنبر «عُظمَى»
أرفعُ رأسي أحياناً ...

فـوق ثـلاثِ وسـائدَ
لأسـلي نفسـي بالنظـرِ من النافـذةِ
إلى شـجرِ الصفصافِ المنتظمِ أمـامي
بحـديقةِ هـذا المسـتشـفى ...
تتوسـطه شـجرةُ« زيزافون » ضخمةٌ
وعلى مدّ البصر أشاهدَ أشجارَ النخْلِ
وبعضـاً مـن أشـجارِ السـدر
بصفينِ طويلينِ على جانبيْ الشـارع

● ● ●

جاءتني عظمـي بفطـوري
وبعينيهـا آثـارُ دمـوع
ـ خيـراً يا سـيدتي عظمـي
خيـراً يا خـاتون !!
ـ أخـلَوْا كـلَّ المستشفي
فجـرَ اليوم ... من المرضـى ..
كـلَّ المرضـى ..
حتى مَنْ أجرينا عمليـاتٍ
لهُـمُ مـن أيامٍ
وجراحُهُمُ كانتْ ... ما زالـتْ
تنـزفُ بالـدم
ـ ولمـاذا فعـلوا ذلِكَ

والمستشفى يتسعُ لكلّ المرضى
وزيادة .. ؟
ـ ليحلّ جنودُكُمُ الجرحى بدلاً منهم
ـ لكن ما ذنب المرضى ؟
ـ أنهُمُ غير عراقيين .
آه ... هذا إجراءٌ وحشيّ .
حاول مسئول المستشفى الرائد طارقُ
ـ وهو عراقي لكن طيب ـ
أن يعترضَ على هذا الإجراءْ
لكن قوبل بجفاءْ
ما استمعَ كبيرُ الضباط
ـ عميداً كانَ ـ لقولهْ
بل هددهُ ..
« لا بدّ من التنفيذِ
وإلاّ أبلغُ قائدنا الأعلَى »
عملٌ وحشيٌّ .. حقاً
عملٌ وحشيٌّ يا مقداد .

• • •

عملٌ وحشيٌّ .. يا عظمى ؟!
لا .. ليسَ بعملٍ وحشيٌّ
فيقيني انّكِ ـ في هذا الوصفِ ـ

ظلمــتِ الوحــش .
أنا ــ يا عُظمــى ــ لــم أشــهد
أو أعــرفْ شــيئاً عــن ذئبٍ
يأكــلُ ذئبــاً ..
أو نمِــرًا يغتــالُ الآخــر
بــلْ إنّ ذئابَ الغابةِ ..
تتوحــدُ فى جمْــعٍ
كــى تدفــعَ عنها ما يتهددها من خطــرٍ
يا عظمــــــى ..
الوحــشُ رحيــمٌ ببنى جنسِــهْ
لكــنَّ الصدامين ــ وأقســمُ ــ
أنــذلُ مــن أن يَرقَــوْا ..
ليكونوا مثــلَ وحــوشِ الغــابة

• • •

قلبى ينــزف ألمــا يا بغــداد
و بصــدرى غاباتٌ من أشــواقٍ
بل أشــواكٍ ..
يا ســلمى ..

يوم الخميس
التاسع من أغسطس

*

ــ عفواً .. يا أختــاهُ الباكستانيةُ
هــل أطمــعُ أن تســدى لــى
معــروفاً لــنْ أنســاه ؟
ــ أنا رهــنُ إشــارتكَ
فإنى بالمستشفى فى خــدمةِ كلِّ المرضى
ومهمــتىَ الإنســانيةُ ..
أن أعمــلَ لإراحتهــمْ
ــ كم أتمنى أن أتركَ ذكرى طيبةً
فى هــذى الأرضِ الطيبــةِ ...
فى هــذا البــلدِ المنكوبِ بنــا
ــ ذكــــــرى .. ؟
أيةَ ذكــــرى ؟
ــ هــذى إحدى نوباتِ المشمش
لُفَّــتْ فى قطعــةِ قطــنٍ
داخــل قطعــةِ شــاش
ــ لكــــنْ ...

مـا شـأنى بنـواة المشمشِ
يا مقـــــداد .. ؟!!
ــ هـذا ما أطمـعُ أن تشـدِيه إلىّ
غَـرْسُ الحبة فى حوضِ الزيزافونةِ .
أضخـمِ أشـجار المستشفى
بـل أجملهـا
ــ لِكـــــنْ ...
ولماذا هـذا الشـاش ...
وهـذا القطـن ...
يَلُـف نواتـك ؟
ــ حتى أحميَهَا من ظلـم الجـوِّ
وديـدانِ الأرض ..
وكـلِّ الحشـرات الضـارة
ولكـى لا يصلَ غذاءُ الأرضِ إليها
إلا فى أنقـى حالاتِهْ
ــ هـذا مـا لـم أسمع من قبلُ بمثله
لكنـى لـن أرفـض طلبـك

● ● ●

وتنفســتُ الصعــداء
وأنا أشـهد عظمـى
تحفـر فى حـوض الزيزافونةِ

مستخدمةً إحـدى سكّيناتِ المطـبخ
كيما تحتضـن التـربةُ ..
هـذى الحبةَ من حبّاتِ المشمشِ
أعـنى لـؤلـؤتى ...
عيـن المقتـولِ المجهـولْ
لكـنْ ليلتهـا لـم أنـم
وشـعرت كمـنْ فقـدَ عزيزًا ..
دونَ وداع ...

يوم السبت
الحادي عشر من أغسطس

المنشــورُ الدوريّ العاشــرْ
تعميمٌ لجميــع قطــاعاتِ الجيــش
« أبنــائى ... إخــوانى ..
يا أبطــالَ الحــربِ
وفخــرَ السّــلمِ
وأمــلَ الأمــة
إنى إذْ أفخــرُ ببطــولتكمْ
وبعــودةِ ما كانت تــدعى « بكــويتٍ »
للوطــنِ الأم
أجــدُ مــن الحتمى اللازم
أن ألفــتَ أنظــاركمُ
لدعــاوى أعــداء الشــعبِ
وأعــداءِ العــربِ ..
وأعــداءِ الإســلامْ
مــن ذلك قــولُهمُ :
« كــانَ على صــدامٍ

توجيهُ قــواه لإســرائيل »
وتناســوْا ...
أنَّا لـم نزحــفْ لكــويتٍ بقــوانا
وضممناها للوطــنِ الأمْ
إلا لتكــونَ القاعــدةَ المثلى
للزحــفِ على إســرائيلَ
وتحــرير القــدس
وقريبــاً يتحقــق ذلك
إن شــاء اللــه .
هــذا غير « الحــق التاريخى » المعــروف
فكــويتٌ كانت تابعــةٌ من قبــلٍ
للوطــنِ الأم
إذ كانتْ تدخــلُ ضمــنَ لــواءِ البصــرةْ .
أبنــائى .. إخــوانى ..
ســدُّوا آذانكُمُ
عن كــلِّ أكاذيبِ الأعــداء
ولقــدْ أصــدرتُ الأمــرَ
لكلِّ كتائبِ جيشكمُ الباســلِ
ألا يُرفــعَ غيــرُ شــعارٍ واحــدْ
« اليــوم هنــا وغــداً فى القــدس »
« اليــوم هنــا وغــداً فى القــدس »
وإليكم صفــوَ تحيــاتى »

توقيع : عبد الله المؤمن صدام

● ● ●

يا عجباً .. عبدَ الله المؤمن !!
بل يا أسفاً ...
يا عبدَ الشيطانِ المدمن !!
لا أدرى ..
بل أدرى ..
أكويتٌ قاعدةٌ للوثبِ إلى القدس ؟
وطريقٌ للزحفِ إلى إسرائيل ؟
يا عجبا .. بل يا أسفا !!
أوَلَيْست سوريّا أقربَ
يا صدام ؟
أوَليس الأردنُ أقربَ
يا صدام ؟
فلماذا لم تحتل كلا الوطنين ؟
ولبغداد ــ بالحق التاريخى ــ
أنْ تلتهمَ كلا البلدين
فقديماً .. كانا
تحت جناح بنى العباس
وكذلك من حق كلا البلدين
ــ بالحق التاريخى الصدامى المزعوم

السيطرةُ على بغدادَ ..
وأرضِ النهرينِ ..
باسم معاويةَ بن أبى سفيان
والأمويين .

• • •

يا عبدَ الشيطانِ المدمنَ
لو حكّمتَ التاريخَ
فحكمْتهُ برُمَّتِهِ
وتعمَّقْ كلَّ زواياهُ
فى ضوءِ معاييرِ العصر
حتى لا تنفصلَ عن الإنسانْ
فالعالمُ لو طبّق منظورَك
فى « الحق التاريخى »
لتحولَ جمرًا ودماءْ
تحكمه إحنٌ سوداءْ
وبمنطق هذا « الحقّ التاريخى »
ستصبحُ أرضُ فلسطينَ لإسرائيلْ
وتطالبُ إيرانُ ...
بضمِّ عراقِ النهرين إليها
فلقد كانت ـ قبل بزوغ الإسلامْ ـ
تابعةً لأكاسرةِ الفرس .

آه ...
كـــمْ مـــن جُـــرْمٍ
يُـــؤتى باســـمك يا تاريخْ .

يوم الأثنين
الثالث عشر من أغسطس

الرائـدُ طـارقُ عبد الفتـاح
وجـهٌ يلقـانى مبتسـماً
(وأراه اليـومَ لأول مـرة
لكـنْ كانت عظمـى قـد ذكرتهُ أمامى
فى يـومٍ سـابق ..)
فوجئـتُ بـه ..
وأنا أتنـاولُ وجبـةَ إفطـارى
كهـلٌ .. لا يتجـاوز خمساً وثلاثين ..
مرتفـعُ القـامةِ ..
ذُو وجـهٍ مهـزولٍ ..
لكـنْ ألمـحُ فى عينيهِ
وميـضَ ذكـاءٍ وصفـاءْ ..
والبسـمةُ لا تهجـرُ شـفتيه
ــ إنى مسـئول المستشفى
ــ يا مرحـب ..
ــ مقـدادُ محمد حسنين

أستاذُ الفلسفةِ بالتعليم الثنوى
ومجندٌ بسلاح الدرعيات ..
صح ؟
ـ صح

• • •

يصمت لحظات
والبسمة تغمرُ وجهه
ـ هيه ... وولاؤك ؟
انتفض كيانى لسؤاله
وكأنى قد لدغتنى رقطاءٌ
ناقعةُ السم
وأجبتُ بصوتٍ ممتلئٍ
مرتفع النبرة :
ـ طبعاً للبعثِ ..
للبعث ولائى ولصدامْ
للبعث ولائى ولصدامْ
يا فندم ..
هل هذى مسألة
تحتاج سؤالا ؟؟

• • •

ولأول مرة

تـذوى بسـمتُهُ
وأكـادُ أراهـا ..
تهـوى للأرض فُتـاتا
وتصـيرُ سـرابا

• • •

يتركـنى تقتلنى الحيـرة !!
مـاذا يعنـى بسـؤالِهْ ؟
قطـعاً يسـتدرجنى ..
حتى أندفـعَ لسـب البعـثِ
وكـذابِ البعـثِ الهـدام
صـدام الزمـنِ المنكـوبِ
فيكـون الإعـدامُ مصيـرى
لكـنْ .. إن صـحَ اسـتنتاجي
فلمـاذا غشـيتْهُ
سـحابةُ حـزنٍ سـوداء
عنـد سـماع جـوابي ؟!
شـيءٌ حيّـرنى حقـا ..
مـا زال يحيِّـرنى حتـى الآن .

يوم الأربعاء
الخامس عشر من أغسطس

فى الثامنــةِ مسَــاءً
فُــوجئتُ به .. بالرائــدِ طــارق
عــادتْ بســمتُه تكســو وجهَــهْ
شــرعَ يُلاطفنــى .. ويُضــاحكنى
وســعدتُ بمجليســهِ حقــا .
ودَّعنــــــى ...
لكــنْ .. لمــا بلــغَ البابَ يعــودُ إلىّ
ويهمــسُ فى أذانــى اليمنــى :
ــ يا مقــــداد ..
يا ليتَ ولاءكَ يتحــولُ لا ثنينِ :
للــهِ ..
ورســولِ اللــهِ محمــدْ

● ● ●

هــزّتنى كلمــاتُهْ
يتركنــى ودمــوعى تمــلأُ عينىّ

وأخـذتُ أردد فى نفيـى ..
ولنفسى ..
ــ يا طـارقُ ...
للـهِ ولائـى ... .
ولصـفوةِ خـلقِ اللـهِ محمـد
لكـنْ .. مـن أنـتَ ؟!!
ومـا أنـت ؟!
قـلْ لى باللـهِ عليـكَ
ولا تتركْنـى نهـبَ الحيـرةِ ..
يا طـــارق ..

• • •

فى منتصـفِ الليـلْ
والظلمـةُ تغَشـى الكـونَ
ولا يقطعُهـا إلا بعـضُ بـريقٍ
تصحبُـهُ أصـواتٌ متقطعـةٌ
تأتـى مـن بُعـدٍ
كهـزيم الرعـد
أسـمعُ فى المستشفى
ترتيـلاً للقـرآن لأول مـرة
ترتيـلا لـم أسـمع بحيـاتى
أعـذبَ منـه :

« واصبرْ نفسَكَ مَعَ
الذينَ يدعونَ ربَّهم بالغداةِ
والعشيّ يريدون وجْهَهُ
ولا تعْدُ عيناك عنهم
تريدُ زينةَ الحياةِ الدنيا ،
ولا تُطعْ مَنْ أغفلْنا قلْبه
عنْ ذِكرنا ، واتّبعَ هوَاه ،
وكانَ أمْرُهُ فُرُطًا »

● ● ●

وشعرتُ كأنى أسبحُ
فى بحرٍ من زئبق
وأعانقُ موجات
من عطرٍ شفاف
ومواكبُ منْ حورِ الجنةِ
تهتفُ باسمى
حتى يغمرنى نومٌ ممتع

● ● ●

لكنْ ...
من هذا القارئ يا ربى .

يوم الخميس
السادس عشر من أغسطس

مـا عـادَ هنـالِكَ ما يشـغلنى
إلا سـاعةُ منتصـفِ الليـل
أنتظـرُ السـاعةَ فى شـوق سـاعرْ
كيمـا أحيـا آياتِ القـرآنِ
بهـذا الصـوتِ الذهبىِّ الرنانْ

• • •

مـن هـذا القـارئُ يا ربى ؟
غيـرُ مُهـم ..
فأنا لا يعنينى إلا المقـروء
ولذلك عـوّدنى نومـى
ألا يغْشـانى
إلاّ بعـدَ سـماعى القـرآنَ اليـومىِّ
بمنتصـفِ الليـل

• • •

فى ليـلة أمـسِ جافانى النـومْ

إذ لـم أسـعدْ بالصـوت الذهبِي الطاهرِ
صـوتِ الترتيـلِ النـورانيِّ
لآيـاتِ القـرآن
أينَ القـارئُ يا ربّاهْ ؟!
القـــارئ ؟!
أمــلاكٌ أمْ بشـرٌ هـذا القـارئ ؟
آه ... ما أعتــى حُـزْني !!
لـم أتمتعْ ليلةَ أمـسِ بالقـرآن
ولذلكَ لـم أحلمْ بالحـورِ العينِ
و بحـرِ الزئبـق ..
وبموجـاتِ العطـرِ الدفاقِ السـاحر

• • •

آه ... أقضــى سـاعاتِ صبـاحِى
محتـرقَ الأعصـابْ
فلقـد كـان الأرقُ رفيقــى
طـولَ الليـل .
تأتى «عظمــى» بالإفطـارِ
فأسـألُها ملهـوفاً
ـ القـــرآن ...
لِمَ لمْ نسـمعه كعادتِنـا
فى منتصـف الليـل

كمـا عــوّدنا قارئُــهُ ؟

ــ ذلك أن القــارئ

لــم يحضـــر بالأمــس ...

لقــد غــابَ لأولِ مــرّة

ــ مــن تعنينِ ؟

ــ القــارئ .. مســئولَ المستشفى الأول

ــ مــن ؟ .. مــن ؟

ــ الرائــد طــارق عبد الفتــاح

يوم الجمعة
السابع عشر من أغسطس

آه ...

مَا أخبارُك يا سلمى ؟

وحذاؤك ما أخبارهُ ؟

هل حُقِّق حُلْمُك ؟

أم ما زالَ شراء حُذاءٍ حلماً

ينتابكِ صبحًا ومساء ؟

آه يا سلمى ..

يا فلذة كَبِدِى

يا نورَ كيانى

يا عطرَ بيانى ..

خدعونا يا سلمى القلبْ

وأرادونا سفاحين وقتلهْ

أمرونا أن نخنقَ ضوء الشمسِ

وأنْ نطردَ زخَّاتِ المطر

بعيداً ...

حتى لا تخصبَ أرضٌ

أو تتطلعَ عينٌ نحو سماء
وأرادونا ـ يا سلمى ـ
بقلوبٍ كافرةٍ عمياء
لكنْ حمدًا لله
جاءتْ كلُّ رصاصاتى
ـ يوم الدشمانْ ـ
إما فى جدرانٍ صماءٍ
أو عبرَ فضاءْ ..
وحمدتُ اللهَ كثيرا
إذ صرتُ قعيدَ رصاصٍ
تسكن إحداها ساقى

• • •

يا سلمى ...
يَغلبنى الشوقُ
فأعجزُ عن أنْ أطفئَ
بعض لواعجِهِ
وأردُّ ـ يا سلمى ـ
قولَ الشاعر :
صيدٌ حُرمناهُ على إغْراقِنا ..
فى النزع ، والحرمانُ فى الإغراقِ

يوم السبت
الثامن عشر من أغسطس

تدخلُ عظمى بطعام عشائى
وأنا أكتبُ يومياتى
فُوجئت بها
لكنّى لم أجد الوقت لكى أخفى الدفتر
فأنا جِدُّ حريصٍ ألا يعلمَ أحدٌ
أنى أكتب يوميات
ولذلك أدفن دفتر يومياتى
ـ فى الغالب ـ تحت وسادة رأسى
فإذا اشتد التفتيشُ ..
وحزُبَ الأمرُ ..
جعلت مقرَّ الدفتر صدرى
وشددتُ عليه وِثاقَ قميصى

• • •

تسألنى عظمى : ما هذا ؟
منهمكٌ أنت كأنك فى دنيا أخرى
أرسالة حب تكتبها لمدامكَ

وابنتك الحلوة ؟
لكن فلتحذرْ يا مقدادْ
لا تكتبْ شيئاً عن أحوال المستشفى
أو واقع ما يحدثُ ضد الشعب هنا
كلّ رسائلكم تُفتح
يقرؤها مسئولوكم
لا تُلْق بنفسك فى التهلكَةِ »
صمتت لحظات وابتسمتْ ..
ـ وتقودُ مسيرتنا للموتْ
ـ فى الواقع ـ يا سيدتى عظمى ـ
أنا لا أكتبُ أى رسالهْ
بل هذا دفترُ يومياتى
شاهدُ حقٍّ
يصرخُ ـ فى صمتٍ مكتوم ـ
فى وجه الباطل
ويدين الدمويين الصداميين اللّعَنَة
من ألقَوْا أخباثهُمُ فى وجهِ الحقِّ
ووجه الدين
فأباحُوا كلَّ الحرماتِ
وأراقُوا أنهارَ الدمِّ بغير الحق
وأشدُّ جرائمهم حقا
زعمهُمُ الباطل أنهُمُ ما فعلوا ذلك
إلا باسمِ الوحدةِ والقوميةِ والحريهْ

لا كانت هذى الوحدةُ والقوميةُ والحرية
إن قامت صرحًا منكودًا
فوق جماجم شعبٍ
أُخِذَ على غرةْ
.. لا كانت
إن كانت عدتها المدفعُ
والسجنُ ...
وشنقُ المظلومين
وتشريدُ الأطفالِ
وإرهابُ العَجَزَةْ ..
عُظمى ...
هذا الدفترُ جزءٌ من نفسى
جزء من تاريخ « الوطن المنهوب »
هذا الدفتر منى ...
بمثابة بنتى سلمى فلذة كبدى
فإذا ما مت ، وحل القدر المقدور
فخذيه .. وتبنّيهِ
وأخفيهِ
إلى أن تلقَىْ عربياً تثقين بدينهْ
أعطيه الدفترَ ينشرهُ
حتى يفضحَ ما نحياهُ
من العار القذر المستور

في ظل زعيم البعث المخبولِ « الملهم »
صدامِ العارِ، ورمز البطش
قولي :
هذي كلماتٌ صاغتْها عاطفةٌ مشبوبة
نابعةٌ من كبدٍ حرّى ..
من قلبٍ مطحونٍ
يتنزى ــ في ألمٍ مكبوتٍ ــ
بدموعِ الحزنِ المقهورة
صاحبُهُ عاشَ ومات غريبًا
ــ من غير وداعٍ ــ مات بأرض محروقة
ورأى كيف التهمَ البومُ الملعونُ
حمامَ البرجِ الشامخِ
حتى الأفراخ المزْغوبةُ
لم تسلمْ من لعنةِ هذا البومِ الغدارْ
في عصر الغابةِ
عصر الظلمةِ
عصر البعثِ .. وعصرِ العارْ.

• • •

تضحكُ عظمى
وأنا أتلوّى كالكلماتِ الملتاعة
ــ ما هذا يا مقدادْ

بــومٌ .. وحمــامٌ

بــرجٌ .. أفــراخٌ ..

أنا لـم أفهمْ مما قلتَ سوى كلمات

ــ يا خــاتون ..

إن حــلَّ المــوتُ بسـاحةِ عمــرى

احتضنى هــذا الدفتــر

وهبيــه لمــن تثقين بــهِ

من أهــل الحــق .. وأهــل الدينْ

.... أوْصِيــهِ وقــولى :

ناشــدتُك باللهِ الحــق

وجــرحِ الوطــنِ العــربى الدامــى

أن تنشــــرَهُ

حتــى يقــرأهُ النــاسُ

وينفضحَ العــارُ المســتورْ

وجــرائمِ صــدام ...

فى حــق الأرضِ المنهــوبةِ

والشــعبِ المقهــورْ

يوم الأحد
التاسع عشر من أغسطس

يا مهيارَ الديلم

يا شاعرَ بَجْدتها المُغْلق

إنّى لأراكَ اليوم أمامى رأى العينْ

شكراً يا مهيارى الشاعرَ

إذْ تعبرُ أسوار الماضى

تطوى أكثرَ من ألف سنةْ

كيما تؤنسنى فى غُربةِ روحى

وتصافحَ كلماتُك أذنى

«فيا صاحبى أينَ وجهُ الصباحِ

وأين غدٌ . صفْ لعينى غدا

أسَدُّوا مسارحَ ليلِ العراق

أم صبغُوا فجرَهُ أسودَا ؟ » (١)

حقًا ...

إنّ الشعر الحقّ معايشةٌ للواقِع

فى عصرِ الشاعر

لكنّ الشعر الأمثلَ ..

مـا كـانَ استشفافا حيـا للمستقبل
فالشـاعر فى هـذى الحـالِ المتوهجة
يملكُ إحسـاسا غيبيا يسـبق عصـرَهُ
يسـبقه بمئـاتٍ أو بألـوفٍ
مـن سـنواتِ العمـرْ
وكـأنَّ مواهـبَ كـلِّ البشـريةِ
قـد خلقـتْ فيـه

● ● ●

أمـدُّ يـدَكَ أصافِحُـكَ بقلبـى
يا مهيـارْ
هـل كنتَ تعـانى فى بغـدادٍ
ليـلا طـال كليـلِ البعث ؟
ليـلا يحكمُـهُ الزيـفُ ...
وسـوطُ الجـلادِ ..
وجـدرانُ الزنزاناتِ السـوداءْ ؟
أم مـا قلـتَ ..
يمثِّـلُ رؤيةَ «مهيارِ» الموهـوبِ
لعصـرٍ نحيـاه اليـومَ بأرضِ العـربِ
بل إنّا نمـوتُ به فى كـل صبـاحٍ
آلاف المـرات .
كـل صبـاح ؟؟!

هــل أنا قلــتُ :
« كــل صبـــاح » .. ؟
معــذرة يا مهيــارُ
فقــد صبغوا الفجــر بلون أســود
... خنقــوا الشمسَ
فــاتَ الصبــحُ جنينــا
مــا عــاد هنــالك ــ يا شــاعرنا ــ
إلا الليــل ..
بغــدادُ ليــل ..
بَعْقــوبةُ ليــل ..
والبصــرةُ ليــل ..
و « كــويتٌ » ...
ــ والفضــل لصــدام . والبعثِ الخــائنِ ــ
ليــلٌ .. وخــرابٌ .. ودمــارٌ .. وحــرائق .

• • •

يا أبنــائي ..
مــن أطفــالِ الكــوفةِ ..
والبصــرةِ والموصــلِ ..
أو كــركوكٍ .. أو بعقــوبةَ ..
أو بغـــدادْ ..
إن عشــتُمْ ..

ـ حتى لو كنتمْ مبتــورِى الســيقانِ
أو الأذرُع ـ
فليزحــفْ كــلٌّ منكمْ ..
ـ لكــنْ مرفــوعَ الرأسِ ـ
لكــى يســهِمَ
فى إطــلاقِ ســراجِ الصبــحِ
المصفــودِ المســتعبدِ ..
ويجــىء الغَــــدُ .

(١) البيتان لمهيار الديلمى .

يوم الاثنين
العشرين من أغسطس

يــومٌ منكــود أســودُ من أوَّلهِ
أشــعُرُ بالملل القــاتل يأخــذ بخنــاقى
وكــأن هــواء الحجــرة قــىء لــزِجٌ
يثقــلُ صــدرى
يصفــعُ وجهــى
فلأنظر من نافــذةِ الحجــرة
حيث الشــارع يمتــدّ
لأملّى عينــىَّ بسَعَةِ الشــارع
ولأذهــبَ عن نفســى بعض الملل .

• • •

لا شــىء هنــالك فى الشــارع
غيــرُ شــحوب ..
كــلّ الأشــياء المتناثرة هنــالك
فى عــرض الشــارع شــاحبةٌ مهــزولةْ
كمــريضِ الســل الزاحــف نحــو القبــرْ
وا أســـفاه ..

كـــل الأشـــياء بقـــايا ...
لا شـــىء بهيئته فى الشـــارع
فالشـــجرُ بقـــايا
كعـــذارى مهتوكاتِ الأعـــراضْ
لا تحمـــلُ غيـــر الأوراقِ المجهَضَـــةِ
الـــذابلةِ الشـــاحبةِ ...
المتدليـــةِ كأعنـــاقِ المشـــنوقينْ .
والســـيارات بقـــايا وهيـــاكلُ محتـــرقة
وعلى مـــدّ البصـــر أمـــامى
حيطـــانٌ ســـوداء
أكلَـــتْ منها النيـــرانُ الأبـــوابَ
فأضحـــتْ كالأجســـادِ المعـــروقةِ
مـــن وقـــع الجـــوعْ .
حتـــى الشـــارعُ ...
ما عـــاد ســـوى أشـــلاءٍ من شـــارع
حفـــرتْهُ جنـــازيرُ الدباباتِ
فقلَبتْ أحشـــاءهَ

● ● ●

لا حـــولَ ولا قـــوةَ إلا باللـــه
يرحمـــك اللـــه ..
أيا وطنـــا خـــرّ ذبيحـــا ..

بسـكاكينِ البعـثْ
يرحمـك اللـهُ ..
أيا وطنـا
كانَ مثـابةَ كلِّ الأحـرار المضطهدينْ
حيـث الظـلُ ..
وحيـث المـاءُ ..
وحيـث العـدلُ ..
وحيـث الأمـن ..
وحيـث الكلمـة ..

• • •

لا أجـد أمـامى غيـرَ الصـحفِ
لتدفـعَ عنـى بعـضَ الملل .
الصـحُفُ ؟!
أأقـولُ الصحـفُ
وما فى الحجـرة إلا « صـوتُ الثـورة » ؟
صـوتُ الثـورةِ .. ذاكَ المنشـورُ
الصداميُّ الأسـودُ ذو الصفحـاتِ
الأربـع ...
أحتفظُ بكـل الأعـدادِ
من يوم الثانى مـن شـهر أغسطسِ
حتـى اليـوم ..

أحتفظُ بكــلِّ الأعــداد
لا حبًّــا فيها .. بل جبــرًا عنــى
« ممنــوعٌ أن تلقِىَ من صــوتِ الثورة
أيــةَ ورقــةْ
ممنــوعٌ أن تســتخدمَ صــوتَ الثورةِ
فى لــفِّ الأشــياء ..
صــوتُ الثورة نبــضُ عــراقِك
بل نبضُ العــربِ جميعا
فاحفظْــهُ مصــونا »
هــذا القالب مطبــوع تحت العنــوان
مباشــرة فى كــل الأعــداد .

• • •

لكــنْ لا شــىء َهنــالك يُقْــرأْ
فى صَــوتِ الثــورةِ
غيــرُ أوامــرِ صــدامِ البعثْ
تلك الموهبــةَ الســامية العليــا
وبخــورِ نفــاقٍ يحــرقُها شــعراء ُالســلطة
وكــذلك تبــرير خطــايا بغــدادٍ
فى حــق كــويتْ
وأقلِّــبُ أعــدادَ النشْــرةْ
وكــأنى أشــهدُ ... أســمعُ فيها

صـوت خـراب
وفحيـحَ أفـاعٍ
ينضـحُ بالسـم القـاتل :
ــ شـعبُ كـويت
يبعثُ وفـدَ حكومته الوطنيـة
ويلحُّ بأن تنضـم كـويتٌ
للوطـــنِ الأم
ــ بغـدادُ توافـق ..
من أجـلِ العـربِ ومجـدِ الإسـلام
ــ طـه يسـين يتحـدى :
فلتـأتِ جيـوشُ الأمريكانِ هنـا
وسـنجعلُ منـها ...
لكـلابِ الأرضِ طعـامًا
ــ « صـدامُ حيـاتى ومصيـرى »
للشـاعر قحطـان العـانى
ــ ومقـالٌ للكاتـب سـعدون
الحمـدان . بعنـوان
« صـداميونَ إلى الأبـد »

• • •

آه .. مـا أحمقنى
قَفَـزَ لذهنـى قـول الشـاعر :

« والمستجيرُ بعمْرٍ وعند كُرْبتِهِ
كالمُستجيرِ من الرمْضاءِ بالنارِ »
يا عجبا ..
أن أفزع للنشراتِ المسمومةِ
كي تدفعَ عني شبحَ المللِ
فيلحق بالمللِ الغثيان

• • •

أرمي بالنشراتِ المسمومةِ
في شتّى أرجاءِ الحجرة
... تصرخ عظمي
ــ ما هذا يا مقداد
وأنت الرجل العاقل ؟
يا عجبا ...
ترمي نفسك للتهلكَةِ
في لحظةِ طيشٍ مجنونةْ
أينَ « العاقل » في مقداد
أستاذِ الحكمةِ والفلسفة ؟
ــ عاقلُ ؟!
يا عظمي ما عدنا نعرفُ
مجنوناً من عاقلْ ...
حقّا من باطلْ

أو حتــى مقتــولا من قــاتلْ
اختلَّتْ كل معــايير القيــمِ ..
بفضــلِ الصــدّاميينْ .

• • •

وأفقــتُ لنفســى
وأنا أشــهدُ عُظمــى
وهى تهــرولُ نحــو الباب لإغــلاقِهْ
كــى لا يتســربَ صــوتى الثائرُ للخــارج
ـــ مقــداد .. مقــداد
فلتــذكرْ ســلمى
ســلمى يا مقــدادْ .
إنْ كانت نفســك
قــد هانت فى نظــرك
فلتصمتْ من أجــل المحبوبةِ ســلمى
يا مقـــــــداد ..
الوضع غَــدَا أفْــدحَ من أن تصلِحَهُ
صــرخاتٌ متشنجــةٌ عصبيــةْ .

• • •

وتُجمِّــعُ عظمــى أعــدادَ النشــرات المنكــودةْ
وتنظِّمهــا فــوقَ المنضــدةِ
بجــوارِ ســريرى بعنــاية

وقضيت عشـيةَ يـومى
مـوتــورَ الأعصــاب
أتطـلعُ ... بل أتحـرقُ شـوقا
للصـــوت الذهبــى ..
يـرتــل آيات القــرآن ..
بجــوف الليــل .

• • •

شــكرا يا رائد طــارق
صــوتك فى جـوف الليــلِ
كشــلاّلٍ من عطــرٍ نورانىً
يتغلغلُ فى أعمــاقِ الـروح
فينعشُـها بالإيمــان
« يأيها الذين آمنوا ، إنما
الخمرُ والميسر والأنصــابُ
والأزلامُ رجْــسٌ من عمــلِ الشيطانِ
فاجتنبوهُ لعلكم تفلحــون »
لكــن تأخذنى رعــدة فــزع فجــأة
فلقــد قفــز إلى ذهنى
صــورة كأس « العــرقِ » الأولى
وأنا أرشــفُها
يوم دعــانى الرائد فتحى

كـــي نتســـامرُ في مكتبـــه
كـــأسٌ واحـــدة ...
لمجاملة الرائـــد فتحـــي
.... وززٌ يعـــلم ربي
أني مـــا كـــرَّرتُه

• • •

هـــل تقبـــلُ تـــوبةَ مَوزُورٍ مثلي
يـــا تـــــــوّاب ؟

يوم الثلاثاء
الحادي والعشرين من أغسطس

أيقظنى فى الثانيـة صبـاحا
صـوتُ هـديرٍ لمصفحـةٍ ...
تعقبُـهُ ضـوضـاءٌ وضـجيجٌ فى المستشفى
وفهمـتُ من اللغـطِ الداوى
أن «لـواءً» من ضبـاطِ الجيش
يزور المستشفى فى هـذا الوقتِ الباكـر.
لكـنْ فى الثانيـة صـباحا ؟!!
ثمـة أمـرٌ لا أفهمُـهُ ..

• • •

وتبيَّنْتُ من اللغـط المتـداخِلِ
عـدةَ كلمـاتٍ تصنعُ جـدلا ملتهبَ اللهجـةِ
بينَ «لـواءِ» الجيـشِ الزائرِ
والرائدِ «طـارقٍ» مسـئول المستشفى
ــ لكـنْ يا فنـدمْ ...
هـذا تقـريرُ طبيب المستشفى
«مقـدادُ محمـد حسـنين

يحتاجُ إلى مدةِ شهرين علاجًا
لا يبرحُ فيها المستشفى »
مقدادٌ لم يمضِ عليه هنا شهرٌ واحد
ـ هذا أمرٌ من بغدادِ
يا طارق ..
الأمرُ يقول :
« منْ أمضى ثلثَ المدةِ بالمستشفى
من جرحى الجيش
يُنتفعُ به في ميدانِ المعركةِ
وتراعىَ حالتُهُ ..
في موقعِهِ بالميدان .. »
توقيع : عبد الله المؤمن صدام .
أمرٌ من قائدنا الأعلى
في بغداد يا طارق
أفهمتَ خطورةَ هذا الأمر؟
ـ لكنْ يا فندمْ ...
إحدى بَدَهيّات الحرب تقول :
« كلُّ جريح في الميدانِ
يمثّلُ عبئًا يُثقلُ كاهلَ إخوانه »
ـ الوضعُ « الثابتُ » بسلاحهمُ
في موقعهمْ لن يجهدهمْ
وعلاجُهُمُ لن ينقطعَ ليوم واحدْ

بل سـيتمّ بموقـع كلٌ منهم فى الميدان
وكـأنهُمُ بالمسـتشـفى
ـ لكـن يا فنـدم ..
إنسـانيـا ....
ـ اسـمع يا طـارق
مصلحـةُ الوطـن العليا فـوق مصالحنـا
والقائدُ أدرى بمصـالح أمتنا منّا
فاصْـدعْ بالأمـرِ وإلا ...
ـ يا فنـدمْ . أقصـدُ أن الجـرحى ..
ـ اسـمعْ يا طـارق ...
تقصـدُ أو لا تقصـدُ لا يعنينى
فأنا لـن أسـمعَ منـك مزيـدا ..
نفِّـذ هـذا الأمـرَ وإلا :
«فى الثامنـة صبـاح الغـد
سـتكونُ على رأس كتيبـة
الرقـمْ اثنـان وعشـرون س . م
اسـتشهدَ قائدها بالأمـس
على أيـدى الإرهابيين .
موقعكم : سـاحة الصفـا
عـددُ الجنـد هناك الآن ثلاثون
ـ وأغلبهم جـرحى ـ
يرتفـعُ العـدد إلى خمسـينَ

بجـرحى مستشفاكم هـذا ...
مستشفى صـدام
منهم طبعاً مقـداد محمـد حسنين
محـل نقـاش اليـوم »

• • •

ينصـرفُ «لـواء» الجيـش المتغطرس
وهـديرُ السـيارة يـدْوى
ويخـفُّ رويـدا
وأخـيرا بـذْوى
ويعـودُ الصمتُ الغـائب للمستشفى

• • •

يدخـلُ طـارقُ بعـد دقائق
وأنا أشـهدُ فى عينيـه
بقـايا دمـعٍ حـاولَ أن يخفيهـا ..
نظـر إلىَّ ، ولـم ينطـقْ
ـ لا مـانعَ يا فنـدم ...
اصـدعْ بالأمـرِ ونفّـذْ
فالخيـرةُ فيما اختـار اللـه
وأنا يسـعدنى أن أعمـل تحت رياستكم
فى ميـدان واحـد
والمسـألة أخيـرا نـوع من تغيير الجـوّ

يعجّـل بشفائى .. إن شـاء اللـه

• • •

سـاعتها .. طـاف بقلبى
بعض ممـا كان الراشـدُ طـارقُ يتـلو
فى منتصـف الليـل :
« ولا تطـعْ من أغفلنا قلبَهُ عن ذكـرنا
واتبـعَ هـواهُ ، وكان أمـرُه فُـرُطا »
يا عبـدَ الشيطان المـدمن ..
يا مـدمنَ شـرٍّ ودمـاء
قـد أغفـلَ ربى قلبـك عـن ذكـره
وإلهُكَ يا عبـدَ الشيطان هـواك
ومصيُـرك لعْـنٌ وهـلاك

يوم الأربعاء
الثاني والعشرين من أغسطس

في خندقي الجديد
في ساحة الصفا
الساحةُ ميدانٌ واسعٌ
وتحيطُ به ــ كسوارٍ حولَ المعصم ــ
عشراتُ عمائرَ عاليةٍ .
بعضُ الشرفاتِ عليها آثارُ حريقٍ
وثقوبٌ من داناتِ مدافعْ
وسوادٌ من دخّان .
عشراتٌ من أشجارِ الساحة
وعواميدِ النورْ
خُلِعَتْ واتّخِذَتْ كساتِرَ لخنادقِنا

• • •

ساقي اليُمنى مثقلةٌ بالشاش
وأنا في الخندق
أعتمدُ على ساقي اليسرى

أما اليمنى فأحمّلها أحيانا
فوق بقايا كرسيٍّ
أحضَرَهُ أحدُ الرفقاءِ
من مُقْهى محترق مخْزوب

• • •

من هذا الخندقِ
وقعتْ عيناي على « شيءٍ »
قد لا يلتفِتُ إليه من الناس أحدْ :
« فردة من حذاء » لطفلة صغيرة
لا تبعدُ عن خندقِنا إلا أمتارا
وعلى الفردةِ نقطٌ من دمٍّ جاف
أحسستُ بقلبي يُحتضَرُ
ويصيرُ حُطاما وشظايا
ربّاه !!
ولماذا فردة ؟؟
أين الأخرى يا ربّاه ؟
ولمن هذا الدمّ الجاف ؟
رباه !!
هل هربتْ صاحبةُ الفردة
بالقدمِ المجروحة ؟
أم طحنتْها دباباتُ البطلِ الركنِ

كمــا طحنتْ من قبل مئات .. ومئات ؟؟

• • •

وامتــلأتْ عينــاى دمــوعا
وأنا أذكــرُ ســلمى
كانــتْ آخــرُ كلمــاتٍ قالتْهــا
فى غضــبٍ ســاذجْ
« أنا لــن أذهــبَ يا أبتــاهُ
إلى مدرســتى بحــذاءٍ منحــولِ الجلــد
ومنحــوتِ النعــل
أتــريدُ أكــون أمامَ زميــلاتى أضحــوكةً ؟
آه يا ســـــلمى ..
لا .. لا .. يا ســلمى
مــا كنتِ ... ولــن تضْحِــى أبــدا .
لزميلاتِكَ أضحــوكَهْ
بــلْ يا ســلمى .. نحــنُ الآنَ الأُضحوكهْ
أصبحْنــا موضــوعَ الســخريةِ المبكيــةِ
موضــوعَ الملهــاةِ المأســاةِ
على كَــلِّ المســتوياتْ

• • •

معــذرةً يا فلــذة كبــدى
فأنا أعلمُ أن كــلامى هــذا

أكبـرُ من عالمكِ الصـافى

وغـــدًا ...

ـ إنْ كـانَ هنـالك غـدٌ ـ

ينمـو إدراكُكِ يا سَـلمى

فَتَعِينَ كـلامـى

أمـا فى حاضـرنا المنكـوبِ

فقـد شـاء البطـلُ الركـنُ المغـوارُ

هنـالِكَ فى بغـداد

ألا تسـتمعُوا إلا بالأذنِ الواحـدةِ

وأن تُلْغُـوا عينـًا من عينين

حتـى لا يسـمعَ أحـدٌ إلا ما يُلقـى

أو يشـهدَ أحـدٌ إلا مـا يشـهدُ

أو ينبـضَ قلـبٌ منكمْ

إلا نبضـاتِ فـؤادِه

يوم الجمعه
الرابع والعشرين من أغسطس

الألـمُ اشـتد بسـاقى اليمنى
وكأنّ جبـالا من نـارٍ قـد شبّت فيها
وأمـدّ يـدى ..
أتحسـسُ سـاقى
يَـاهْ ...
هـل هـذا الجـزءُ المتخشبُ مِنّى ؟
هـل هـذا « الشـىءُ » ـ صحيحٌ ـ سـاقى ؟
أم أنى أتحسـسُ « شـيئا » آخـر ؟
شـىء آخـر ؟
هـلْ يمكـنُ أن يلتصـق بجسـمى
« شـىء آخـرَ » بـدلَ السـاق ؟
هـل أحمـلُ سـاقا أخـرى ليسـت لى ؟
أم أحمـلُ قطعـةَ خشـبٍ ...
كتـلةَ صخـر ... ؟
أم أنـى أحمـلُ ...
مـا هـذا ؟

عجبـــــا ... ؟
مــا هــذا السـخْفُ يخـالجنى ؟
قَطْعًا ســاقى
أنا لا أحمــلُ إلا ســاقى
جُـزْءاً منـــى ...
لا جــزءاً منفصــلا عَنّى
ودليلى هــذا الوجــعُ القــاتلُ
هــذا الوجــعُ الصــادرُ منهــا
مــن أســفلَ للأعلَى يصعــد

• • •

ســاقى تتســمُ ــ وهذا حــقٌ ــ بالإيثــارْ
لا تحتــكرُ الألــمَ ... ولكــنْ
تجعــلُ للأعضــاءِ الأُخــرى
فى جســمى بعــضَ نصيب .
آه ...
فى إنتــاجِ الألــمِ غــزارهْ
لكــن فى التــوزيع عــدالَهْ
حقًــا .. ما أكــرمَ ســاقى !!
وتذكــرتُ لعبــد الله المؤمنِ صــدامٍ كلمــاتٍ
« نفــطُ العــرب لكــل العــرب
ولكــلِّ فقيــر فيــه نصيبَ »

وضحكت لنفسي .. في نفسي
(حقًا شرُّ النكباتِ ـ كما قالوا ـ
هو ما أضحك)
آه ...
يا داء بَلادي يا صدام
يا أستاذا في هدمِ الحق
ونصرِ الباطل .
هلْ من حقي أن أسأل عن نفطِ بلادي ؟
هل نَفَعَ بلادي ...
أو نَفَع العربَ بأيةِ أرضٍ عربيةْ ؟
لا ...
بل أكلتهُ حروبٌ طاحنةْ
لسنينَ ثمانٍ
ومع النفطِ المهدرِ يهوى مليونُ شهيد
في حرب لا غاية منها ..
إلا توثينُ « العبدِ المؤمن » صدام
وارتفعتْ أعلامُ النصرِ الزائفِ
وأقيمتْ صلواتُ نكراءُ ..
بمحرابِ الوثنِ المنكودْ .

• • •

شُكْرًا يا ساقي

لـولاكِ
ولـولا جـودُكِ بالأوجـاعِ الحـرَّى
ما انسـابتْ فى نفسـى
هـذى الكلمـاتُ المهموسـةْ
ما أمتـع أن يتحـدثَ إنسـانٌ
بشجونِ النفـس لنفسِـهْ
ويعيـشَ بدنيـا يصنعُها من ذاتِهْ
لتعوِّضَهُ عمـا يشـهدْ
فى خـارجِ هـذى الذاتِ المغتربةِ
من أنقـاضِ نفـوسٍ وضمـائرَ مخـروبةْ

• • •

وأُفيـقُ لنفسِـى
الوقـتُ ضحـَى
وجنـودُ الخـدماتِ ـ بأيدٍ متعجـلةٍ ـ
يُلقـونَ بأرغفـةٍ من خبزٍ صُلْبٍ
معهـا بعضٌ من أعـوادٍ خضـراء
خـسٍ .. جرجيرٍ .. لا أدرى ..
العـددُ ثـلاثةُ أرغفـةٍ
لثـلاثِ الوجبـاتِ لكـلٍّ منّـا
ومـع الأرغفـةِ صحيفةُ « صـوت الثـورة »
أربـعُ صفحـاتٍ آخـرها تذييلٌ نصُّـه

(نظـرا للأزمـة فى الأحبـارِ وفى الورقِ
جعلنا صـوت الثـورة أربع صفحـات)
أما صـدرُ الجنرالِ ففيـهِ قصـيدةُ شـعر
دبجهـا أحـد الضبـاط
بحـروف نفـاق وخنـوع .
والعنوان (يا صـوت الله يا صـدام)
تشـغل أكثر من نصـف الصفحـة
منهـــا :
.... يا نـورَ الشـمـسِ ..
يبـدِّدُ كـلَّ الظُلمـاتِ
ويكفكفُ نـارَ الآهـاتِ
يا غيثـًا ...
أخصبت محْـلَ الصحـراواتِ
يا صـدَّامَ الخـيرِ
ونـورَ الحـقِّ
وصـوتَ اللـهْ
هـزَّ إليكَ بجـزعِ النخـلةِ
تسَّـاقطْ نفْطـا
وأشـرْ للريحِ فتأتِى المـزْنُ حُبالى
والمـسْ بيـديك صحـارَى الكـونِ
فتنبتَ أقْطـا
قبِّـلْ بجبينك وجْـهَ الشمسِ

لكــنْ لا تغــربْ
وأفِــضْ من نـورِ البعـثِ
على مشْــرقِها والمغــربْ
واضــربْ بعصــاكَ البحــرَ
ليصبــحَ نبعًــا مــن ذهــبِ
اضــربْ يرعــاك البعثُ
لترفــعَ راياتِ العــربِ
اضــربْ يا غيْبــا مشــهودا
اضــرب يا مجْــدًا معبــودًا
يا نـورَ الحــقِّ وصــوتَ اللهْ
والتوقيع : ابن الثــورة

• • •

وطــويتُ صحيفــةَ صــوتِ الثــورة
وكأنّي أشــهدُ فيهــا «قبــرَ الثــورة»
لا حــول ولا قــوة إلا باللــه
إن الشــعرَ ســماءُ الكلمــةْ
لكنــى أشــهدُه ...
فى وطنِى المــذبوحِ بســكين البعثْ
قــد أصبــحَ مستنقَعَ قىءٍ
ونفــاقٍ وقّــامهْ
لا حــول ولا قــوة إلا باللــه

الميدانُ الصامتُ
يغشاهُ الحزنُ الأسود
في الميدان من الناحية اليمنى
تمثالٌ ضخم «للركْنِ»
منحوتٌ في قاعدته :
عهد الله المؤمن صدام

• • •

لم يستوقفْني هذا التمثالْ
فببغداد عشراتٌ مثلُهْ
لكنَّ اللافتَ للنظرِ
هذي اللوحةُ في وسط الميدانْ
ترتفعُ لأمتار عشرة
تحت الصورةِ عنوان ضخمٌ
تتلوهُ صفات براقة :
ألقاب زعيم الأمة
«المنقذُ .. والهادي .. والمخْلِصُ
والملهمُ .. والأوحدُ
والناصرُ .. والقاهرُ .. والأمجدُ
والرائعُ .. والمانعُ .. والنافعُ ..
والمرعبُ والمرهبُ والفارسْ
.....»

وعـــددتُ الألقـــاب ...
فكـــانتْ مائـــة إلا واحـــد !!
ولمـــاذا التســـعةُ والتســـعونَ ؟
لمـــاذا هـــذا الرقْمُ بصفـــةٍ خاصـــة ؟
وصـــرختُ صُـــراخا مكتـــوما
ـــ يا للـــه ...
جُـــنَّ الكلـــبُ ومـــاتَ يقينُـــهُ
وكـــذلك جُـــنَّ كـــلابُ الســـلطةِ
مـــن حـــزبِ البعث ...
اختـــارُوا للوثـــنِ التكـــريتيِّ
من الألقـــابِ بعـــدد الأســـماءِ العظمـــى
أســـماءِ اللـــه الحســـنى
عفـــوا عفـــوا يا اللـــه
فالكلـــبُ قـــد اتبـــع هـــواه
صـــارت كـلُّ أمـــورِك فُرُطًا يا صـــدام
لا إلـــه إلا اللـــه
ولـــه الأســـماءُ الحســـنى
فادعـــوه بهـــا
أنتَ الأولُ والآخـــرُ
أنتَ الظـــاهرُ والبـــاطن
آمنتُ بقـــدرتك العظمـــى
آمنتُ بقـــدرتك العظمـــى .

يوم السبت
الخامس والعشرين من أغسطس

فى خندقى بساحةِ الصَفَا
يَغْمرنى إحساسُ سلامٍ وطمأنينةِ
ما كان يخالجنى بالمستشفى
إلا عند سماعى آياتِ القرآنِ بمنتصف الليلِ
بصوتِ الرائد طارقْ.
ما مصدرُ هذا الإحساسِ الفياض ؟
آه ... الرائدُ طارقُ لا غيرُهْ
فأنا أشهدُه ... بل أحياهُ
طوالَ اليوم أمامى
أما فى المستشفى
فأنا لم أكُ أشهدُه
غيرَ دقائقَ فى اليوم الواحد
وأشنِّف أذْنِى بتلاوتِهِ
فى منتصفِ الليل
« واصبرْ نفسك ... »
سمعًا يا اللهْ

أصبرُ نفسي
فالصبرُ ضياءٌ
في وطنٍ لا تحكمُهُ إلا الظلماتْ

● ● ●

يا طارق إني أحببتُكَ
للهِ أحبُّكَ يا طارقْ

● ● ●

الرائدُ طارقُ لا يلتفتُ إليّ
وأراهُ يدير النظر هناك
على آثارِ التخريب
وأرى في عينيه سحائبَ حزْنٍ غامرْ
قطعًا ... لم يكُ يشعرُ بمكاني
ـ ماذا أفعل ؟
أأُناديه ؟؟
هذا ممنوعٌ طبْعًا في الجيشِ
وفي الميدانِ بصفةٍ خاصةْ
وعيونُ الصداميين تراقبْ .
سيقالُ :
« هنالكَ صلةٌ
بينَ الجندِ وقائدِهمْ
طمعًا في قلبِ نظامِ الحكم »

امنحني نظرات يا طارق
كيما استشعرَ قبسا من إيمانِكَ
يُحيي نفسي

● ● ●

ماذا أفعلُ كي ألفِتهُ نحوي
فلأشعَلْ حتى يسمَعَني
... حمدا للهِ ... التفتَ إلي ..
نظر إليْ ...
بهدوء نظر إلى وجهي مبتسما

● ● ●

فجأةْ
وقفتْ سيارة «رولز» فاخرةٌ
ــ لوحتُها باسم كويت ــ
(قطعًا واحدةٌ من آلافِ غنائِمِ
آلتْ لكبار القادةْ)
ينزلُ منها أحدُ كبارِ الضباطِ :
«لواءٌ» ...
من نبراتِ الصوتِ عرفتُهُ
هذا من زارَ المستشفى من أيامٍ
يحملُ أمرا صدّاميا
باستخدامِ الجرحى من أمثالي

فـي الميـــــــدان

ــ يا طــارق ..

مـن بغــدادٍ وَصَلَــتْ فى فجرِ اليوم

إشـــــــارة

والنـــصُّ اســمعْهُ :

« الموضوع : عمــلٌ إنســانىٌّ قــومىٌّ

ســرىٌّ للغـــايةْ

الفحـــوى :

يُختـارُ من الضباطِ برتبــةِ رائـدِ

أطهرُهُمْ نفسًــا وضميــرا

ويُوجِّــهُ معْــهُ مِكانيكيانِ

خبيــران ... أمينــان

لبنــكِ الكــويتِ الوطنــىِّ ــ

فــرع الدسْــمَة

وتفــرِّغُ كــلَّ خــزائِنِــهِ

بحقــائبَ تُختَمُ بعــد التفــريغ

بشــعارِ الجمهــوريةِ

فــوقَ الشــمْعِ الأحمــر .

عــاشَ الوطــنُ وعــاشَ البعث » .

عبد الله المؤمن صــدام

ــ وأقــولُ : مبــاركُ يا طــارق

ســتقومُ بهــذا العمــلِ الفــذِّ

ـ لكنـــي ... لكنـــي ..
آســـفٌ ... أعتـــذرُ
فأنا أعجـــزُ من أن أنهضَ
كـــي أســـرقَ بنكـــا
ـ تســـرقُ ... تســـرق ؟!
مـــاذا قلـــت ؟
ـ قلـــتُ ... وأقـــولُ ...
أنا أرفـــضُ أن أتحـــول لصّـــا ..
يا فنـــــــدمْ ...
ـ لصّـــا ؟! مـــاذا قلْـــت ؟
هـــذا ـ يا طـــارق ـ مـــالٌ ..
ســـيعودُ إلى الوطـــنِ الأمّ
مالٌ امتصّتْـــهُ ذئابُ الحكّامِ
وشـــيعتُهُمْ ..
من رزقِ العـــربِ المطحـــونين
ولذلك اختاركَ أنتَ بصفـــةٍ خاصـــةْ
لتقـــومَ بهـــذا العمـــلِ الإنســـانى
وإليـــكَ نصيحـــةْ :
لا تعْـــرِض نفسَـــك لمؤاخـــذةٍ
لا يعـــلم إلا اللـــهُ مـــداها
ـ يا فنـــــــدمْ
أنا أعجـــزُ من أن أصبـــحَ لصـــا .

فاللــص ــ كمــا هــو معــروف ــ
مخـلوق ذو موهبــةٍ
لا تتــوفرُ فـي أمثــالي
ــ لكــنْ يا طــارقُ ..
رفضُــكَ هــذا عصيــانٌ
لا تنــسَ بأنّا في الميــدانِ
ونَحــنُ الآن بحــالةِ حــرب
وجــزاءُ العصيــانِ بهــذي الحــالِ
كمــا تعــلمُ ...
ــ أيًا كانت عاقبتــي ..
لــن أســرقَ
لــن أصبحَ لصًا في بلدٍ محــروقٍ منهــوب
هُتِكتْ أعــراضُ حــرائِرِه
وتيتّمَ فيــهِ الأطفــالُ

• • •

يتركُنــا الضــابطُ في غضَــبٍ ..
يركــبُ ســيارتَه «الرولز»
(أعنــي مــا صــارت ســيارتَهُ)
أســمعُ «طــارق» وهــو يردّدُ
قــولَ الشــاعر:
«ولســتُ أبالي حينَ أُقتلُ مُسْلِمًا
على أيِّ جنبٍ كانَ في اللــهِ مَصْــرَعِي

يوم الأثنين
السابع والعشرين من أغسطس

في السـابعةِ صبـاحـا
... أستيقِظُ في خنـدقيَ الأسـود
أعصـابي كـانت مرتخيـةً
والراحـةُ تسـري في أوصـالي
فلقـد نمـتُ عميقـا
سـاعات سـبْعًا متواصـلةً
أنهـضُ مرتكزًا فـوق الرجلِ اليسرى
وأمـدُّ رشـاشي فـوق الأرضِ
على حـافّـةِ خنـدقِنـا
أرفـعُ رأسـي
والجـزء الأعلى من صـدري
حتى أتمكنَ من وضـعِ ذراعي اليسـرى
خلـفَ الرشـاش
أمـا اليمنى فهمتُهـا
أن تتمكنَّ من كـرسـيِّ الطيب
أعني « طلّلَ » الكـرسـيِّ الطيب

حتى يتحمـلَ رجـلى اليمنـى
فى أغلـب أوقـاتِ نهـارى
ما أصبـرَكَ بحـقٍّ يا كرسِـيَّ الغـالى
مـع كثـرةِ مـا أثخنْتُ بِهِ
من تكسـيراتٍ وجراحـاتٍ فى جنْبيـكَ
وفى ظهـرِكَ ..
فى حـربٍ أنـت برىءٌ منـها
وكـأنك مـن قـال :
«لمْ أكُنْ من جُناتِها ـ عَلِمَ اللـهُ ـ
وإنِّى بحـرِّها اليـومَ صَـالى»
لكـنْ رجـلى اليسـرى أصـبرُ منك
فأغلبُ ثقْـلى تتحمـلُهُ فى صـبرٍ صـامتْ
هـى مِثْـلى ..
مثـلُكْ ...
لا تمـلِكُ إلا الصـبرْ
فهْـوَ خيـار واحـدُ لا تمـلك غيـرَهْ
وعليهـا أن تقبـلَه طـوعًا أو كـرْها
رحـم اللـه عَلِيّـا كـان يقـول :
«إنكَ إنْ لـمْ تصـبرْ
محتسـبا صبـرَكَ للـهِ
سـلوتَ كمـا الأنعـام العجمـاوات» (١)

فجـــــــأة ...
وقــف أمــامَ الخنــدقِ
ـــلا يفصلنــا عنــهُ ســوى أمتــارٍ ـــ
« ونْــشٌ » أســودُ ضخــمٌ
كالغــولِ المتــورِّم
وبصحبتِهِ ســيارةُ « جيـب »
يقــف الونــشُ ، وتهبِطُ رافعتُــهْ
ومن السيارةِ ينزلُ أحدُ كبارِ الضباط
آه ... أعــرِفُهُ ..
لــصٌّ « الرولــز رويــس »
زائــرنا فجــرا بالمســتشــفى
... ناقــلَ جــرحى مستشفانا للميــدان
.. داعي طارقٍ كي يسرقَ بنكَ الدسمة
لكــنْ « طــارق » دخــلَ التــاريخَ
برفــضِ الأمــرِ الصــداميِّ الغاشــم .
.. طــــــــارقْ؟!
لكــنْ ... طــارقُ أينَ ؟
لــم أرَهُ بالأمــسِ
ولســتُ أراه اليــوم

• • •

لطفَــكَ يا ربــي

فلقد عَوّدنا لص « الرولزِ »
ألاّ يظهــرَ إلا فى جعبته نكبَـةْ

• • •

لــم يمضِ ســوى بضْــعِ دقائق
حتى هَبَطَ من الســيارةِ جنــديان
بينهما أحــدُ الضباط مُغَمَّى العينين
ويــداه موثَّقَتَــانِ وراءهْ
يبقى الوِنــشُ وتبتعــدُ الســيارةْ
يضــعُ « القــائد » حبــلا فى عنقِ الضابطِ
... يتــدلى خطّــافُ الونْــشِ
وتوضــع خيــةُ هــذا الحبــل به
مــن طــرفٍ آخــر
ويشــيرُ « نــذير الشــؤم »
لمســئولِ الونــش : « أرفَــعْ ... »
ترتفــعُ الرافعــةُ
وينضمُ لركبِ الشهداءِ شهيدٌ آخــر .
... كــابوسٌ يُطبِــقُ يوميــا
فى كل ميــادينِ « كــويتِ » المغصــوبةْ
مــا عــاد الشــنقُ لضبــاطٍ أو جنــدٍ
أو أبنــاءِ الوطــنِ المنكــوب ...
بأمــرٍ يَلْفــتُ نظــراً مِــنْ أحــدٍ .

لكـــــــنْ ...
مـن هـــذا الضـــابطُ يا ربـى ؟
قلبـــى تتـــدافعُ دقّـــاتُهْ ..
وأنـا أقـــرأ ما ســـمَّوهْ
« بحيثيـــاتِ إدانـــةِ مجـــرم »
تُكتبُ بالخـــط الواضـــح فى لوحـــةْ
وتعلـــقُ فى صـــدرِ المشـــنوق
يا للـــه !!
مـــاذا أقـــــرأ ؟!!
« الرائـــدُ طـــارقُ عبد الفتـــاح
خـــانَ أمانتَـــهُ
فأســـاء لشـــعبهْ
ضُبـــط عشـــيةَ يـــوم الســـادس
والعشـــرينَ من هـــذا الشـــهرِ
يســـرقُ مـــال خـــزائن
بنـــكِ الدســـمةْ .. »

• • •

لا يا أفاقـــونَ كـذبتـــمْ
طـــارقُ لـــم يســـرقْ
طـــارقُ من يخشـــى اللـــه بحـــقّ
طـــارقُ مـــا حمـــلَ ولاءً

إلا للـهِ الأعظـمِ ومحمـدٍ صفـوةِ

خـلقِ اللـهِ

لذلـك شـنقُوا « الرائـد طـارق »

... لـو سـرقَ البنـك لمـا شـنقوه

.. بـل رقّـوهُ إلى أعلى درجـاتِ سـلاحِهْ

● ● ●

وأقـولُ : سـلامًا يا طـارقْ

نظـراتُكَ كـمْ منحتنـي القـدرةَ

والصبـرَعلى كـل كريهـة

لكنهُمُ قـد حجبـوا عنـا عينيـكَ

فـلا أشـهدُ من وجهـكَ غيـرَ لسـانِكَ

مندلعـًا مـن شـفتيكَ ...

لضغـطِ الحبـلِ على عنقِـكْ

يا بُورِكَ منـك لسـانكَ يا طـارق

كـمْ رطّبَـهُ ذكـرُ اللـهِ

وآيُ القـرآنِ بمنتصـف الليـل

يا طـارقُ .. يا صـوتَ الحـق

الآنَ تعيـشُ بميـدان

لا يعـرف زيفـًا .. أو بغشـا

لا يعـرفُ كذبًا .. أو عَبَثًا

الآنَ رحلـتَ إلى ربـكَ

من غيــر وداعٍ يا طــارقْ
يرحمــكُ اللــه . .
يرحمــكُ اللــه . .

(١) نص كلمة الإمام على كرم الله وجهه : « إنك إن لم تسْلُ احتسابا ، سلوت سلوّ البهائم » .

يوم الأربعاء
التاسع والعشرين من أغسطس

أفتح عينى

أتحسسُ جدرانَ الخندقِ ..

والمدفعَ ..

و« بقايا » الكرسىِّ رفيقى .

ليسَ هنا شىء من ذلك .

لا أشهدُ إلا أبيضَ فى أبيض .

أرقدُ فوق سريرٍ أبيضْ

وملاءاتُ سريرى بيضاء

أغطيتى أيضا بيضاء

منضدةُ سريرى بيضاء

زِيِّى جلبابٌ أبيض .

يا عجبًا ...

أنا عدتُ لمستشفى صدامٍ

وصورةُ هذا الأفَّاقِ كما كانت

تعلو صدرَ الحجرة !!!

● ● ●

أتحسسُ صدرى ...
ويلاهُ ...
دفترُ يومياتى !! ؟
أينَ الدفتر ؟؟
كان معى فى الخندقِ آخرَ مرةْ .
أذكرُ أنّى خبّأتُ الدفترَ فى صدرى
وشددتُ عليهِ أزرارَ قميصى

● ● ●

انهارتْ أعصابى
وصرختُ بهستيريةْ :
الدفترُ .. الدفتر ...
أين الدفترُ يا عُظمى ؟؟

● ● ●

دخلتْ عُظمى باسمةً ..
ـ يا عظمى ـ أين أنا ؟
ولماذا عدتُ هنا ؟!
لكنْ هذا غير مهم ...
الدفترُ ... أين الدفترُ يا عظمى ؟
الدفترُ قلبى .. ودموعى .. ودمائى
ـ حقا ودماؤُكَ ...
فدماؤك سرُّ حضورك

للمستشفى ...
والدفتر فى حفظِ الله
« خُدا حافظْ .. خُدا حافظْ » (1)
وتنفستُ الصُّعداء
وهى تناولنى دفترَ يومياتى
من داخل معطِفِها الأبيضْ
ـ لكنْ ... ماذا حدث
لكى أحضر للمستشفى ثانية يا عظمى ؟!
ـ تذْكرُ أنّى قلتُ من لحظاتٍ :
ما أحضرك هنا غيرُ دمائكْ
ـ دمائى ؟! ماذا تعنين ؟
ـ أنتَ هنا من يومين
قالوا أنك لم تتحمل ...
منظرَ شَنقِ اللصِّ الضابطِ
... مِمّا سبَّبَ لَكَ إغماءً ..
فهويْتَ إلى قاعِ الخندق ...
لحظتَها نزفَتْ ساقُك نزْفًا
لم يتوقفْ إلا فى المستشفى
ـ فلنتركْ هذا الآنَ
فثمّةَ ما يجبُ عليكِ معرفتهْ
فلْتستمِعِى لى لحظاتٍ :
طارقُ ـ يا عُظمى ـ
لم يُشنقْ إلا لأمانتِهِ

ـ طــــارقْ؟!

هــلْ شــنقوا طــارقْ؟

ـ شــنقوهُ . وقــالــوا « لــصٌّ »

حين عصــى الأمــرَ الصــدامِي العــالى

أن يســرقَ بنــكَ الدســمةِ

قال لكبيرِ الضبــاطِ الآمــرِ بالســرقة

ـ بالحــرفِ الواحــدِ وأنا أســمعُهُ ـ

« لــن أصــبح لصّــا فى بلــدٍ

منهــوب محــروقٍ ...

هُتكت أعــراضُ حــرائرِه

وتيتم فيــه الأطفــالُ »

ولذلك شُــنق ضحيــة طهْــرِ يديــهِ

ـ يرحمُــك اللــه

عشــتَ نقيــا ...

مــتَّ نقيــا .. يا طــارقْ..

● ● ●

ـ والآن نعــودُ إلى ســاقى

ـ قلــتُ أصيبتْ بنــزيف حــادٍ

حتــى أشــرفْتَ على المــوتِ

ولكنّــا فى آخــرِ لحظــاتِ حيــاتِكَ

أســعفناكَ بنقــلِ الــدم

ورأيتُ دمـوعًا في عينَىْ عُظمـى
ــ لا تبكـى يا عظمـى
فأنا أشـعرُ أنى في عافيـةٍ
لا تبكــى ...
عُظْمـى تزدادُ بكـاءً ونحيبـا
ــ عظمـى لا تبكـى ...
هل يأخذك الشـوقُ إلى أهلِكِ
في لاهـــور؟
يـا عُظمـــى ...
أيامٌ .. والباطـلُ يهـوى
ويعـودُ المستشفى أزهـى ممـا كـانْ
وإذا ســاء الوضــعُ
تعـودين لوطنـك باكسـتانِ
إن شـــاء اللــه .
ــ أنا لا أبكـى شـوقا للعـودة
وطـنى ــ برعاية ربى ــ بـاقٍ لا يحتـرقُ
.. ولــن يحتـرقَ ....
فهـو بعيـد عــن بغـدادَ
وأهلى فيـه بأحسـن حـال
لكــنْ أبكـى للمسـكين الشـابِ
أحـدِ الجـرحى مـن أبنـاءِ «كـويت»
شـاب لـم يتجـاوز سـن العشـرينَ

قالوا : إرهابيٌّ فجَّر دبابةْ .
وفصيلةُ دمِه كفصيلة دمك
سحبُوا منه دماه .. حتى مات
ـ وماذا فعلوا بدمائِه ؟
ـ تجرى فى كلِّ عروقِك من يومين
ـ الكفرة ..
البعثيون الكفرة ..
أعداء اللهِ
وأعداء الإنسانْ
قد شاءوُا لى
أن أحيا بدماء قتيلٍ مظلومٍ
حاولَ أن يدفعَ عن أرضِ الوطنِ
كلابَ البعث

• • •

رُحْمَاك إلهى ..
ما أبشعَ أن يحيا إنسانٌ
ليموت مقابلَهُ إنسان
رُحماك إلهى
اللهمَّ اشهد
أنىَ لم أشهد
أنى لم أرضَ بما فعلُوا

رُخمــــاك إلهـــى
لولا خـوفى منـك
وقـوةُ إيمـانى بجـلالِكَ
لقطعـتُ شـرايينى
كـى تنـزفَ مـا فيهـا مـن دمٌ
فى حـــوضِ الزيـزافـونةِ
فى سـاحةِ مشتشفانا هـذا
حيثُ تنامُ «اللؤلـؤةُ» الغاليةُ
على قلبـــى ...
عيـن الجنـدى المجهـول
ممـن كانـوا يـوم الفهـد
بطـلِ المعـركةِ الدمـويةِ
فى قصـرِ الدسـمانْ
فى الثانى من شـهرِ أغسطسِ
شـــهرِ الأعــراضِ ...
وشـــهرِ الـــدمْ .

(١) عبارةيرددها الباكستانيون كثيرا ، وهى بالأوردية ، ومعناها « يحفظنا .. ويرعانا » .

يوم الجمعة
الحادي والثلاثين من اغسطس

يا هـــــارونْ ..
يأيهـا الرشـيدُ .. والحفيظُ
والعتيـــــدُ ..
يا فَخْـرَ أمـةِ العـربْ
المزْنـةُ تمضـى فتناجيهـا
« فلينـزلْ غيثُـك فى أىِّ مكـانٍ ..
فَخـرَاجُـكِ مضمـون .. » (١)
يا هـارونَ العـربِ أتـذْكـرْ؟
« نقْفـورا » .. تذكـرهُ
نقفـورَ الروم الخـائنَ
لمَّـا نَقَضَ العهـدَ هـوْيتَ عليـه
بسـيف الحـق .
فجـاء الحـقُّ .. وزهـقَ البـاطل
يا عجـبا ...
مـا أن عَـوَى
حتـى هـوى

فمضيتُ إلى بغـداد
أحمـلُ تهنئـةً كتبت بِدِمـاى
وبحثتُ طـويلا عـن عرشِـك
عـن جيشِـك
لكـن ما عثـرت قدمـاى
بغيـر بقـايا من نعشِـكْ
وفتـاتٍ من سـيف مكلـومٍ مثلـومٍ
ينهـرُهُ الصـدأُ الظـالمُ
قالوا سـيفُكْ

• • •

ناديتُـكِ يا بغـدادُ
فضـاعَ ندائى فى ظلمـاتِ الليـلْ
لكـنْ جـاء جـوابٌ من مخنـوقٍ
تحـت نعـالِ البعـث :
« بغـدادُ أكلـتْ خيـرَ بنيهـا
ثـم تهـاوتْ ...
سـقطتْ مُثخَنَـةً بالنـوم »
فـاتَ نـدائى النـامى الدامـى
فـى صـدرى
ودفنتُ ذُبالـةَ أملى فى أنقـاضٍ
من حاضـرِنا المحطـوم المهـزومْ

يا سلْمى يا بنتَ السنواتِ الستّ
من قبرى الأبيضِ فى المستشفى
أبعثُ كلماتِى تقطرُ بالدمع وبالأحزان
يا سلمى معذرةً
فأنا لا أشهدُ غيرَ سوادٍ ملعونْ
وحطام كالعصفِ الذاوى
من شجرِ التين المحروقْ
وغصونِ الزيتونِ المحزونْ
وبقايا راكدة من ماءٍ وعيونْ
وقوافلَ من فُلْكٍ مشحونْ
تحملُ شحناتٍ للوطنِ المهزوم
من الأطرافِ .. الأذرعِ والسيقانِ
المصنوعةِ لضحايا الحرب النكراء

• • •

أسمعُ يا سلمى عصْفَ الريح الصرصرِ
يعوى فى بغدادَ ويزأر
يحرقُ ويدمرْ
يجتاحُ اليابسَ والأخضرْ

• • •

وأرى أيضا بقراتٍ سبعا
عجفاواتٍ سودا

ينــزفْنَ دمــاء وصـــديدا
يأكلْــن ســمينات من أبقــارِ ألــفِ
بــل مليـــــون

• • •

وأرى كــلَّ ســنابلِ أرضِ النهــرينِ
تجــف وتَيْبَــسُ .. ثم تهــاوى
لتكــونَ طعــاما للــدودِ المنكــودْ

• • •

وأرى الطــوفانَ العــارمَ قــادمْ
بســيولٍ عاتيــةٍ ســوداء
ليســـت مــن مــاء
بل قــيءٍ.. وصــديدٍ .. ودمــاء

• • •

فــإذا مــا حُمَّ اليــومُ الأســودُ
لا تلتمســى نوحـًا وســفينةَ نــوحٍ
أو جبــلاً يعصمُــكِ مــن المــاء
أو قطعـــةَ نــورٍ
تســتهديها فى الظلمـــاء
نــوحٌ يا ســلمى قــد طــردوهُ بليــلٍ
ونفـــوهُ بعيــدا وشــريدا

وسفينةُ نوحٍ
صادرها أبطالُ البعث

● ● ●

يا سلمى ...
لا تلتمسي الجوديَّ الأخضَرَ
مرسى نوحٍ وسفينتِهِ
وحمائِمِهِ وصحابتِهِ
فالجوديُّ الأخضرُ ...
لم يرحمه الطوفانُ العارِمْ

● ● ●

وأرى في سِفْرِ الأيامِ الآتي
الطفلَ الأخضرَ
إما مفقودا أو مَوْءودًا
وسيأتي يومٌ يا سلمى
يتشبثُ فيه بثدي الأمّ
ليعتصرَ بفكّيْهِ الحلمةْ
يستجديها نقطةَ لبنٍ
هاربةً في أعماقِ الصدر
كي تنقذَهُ من جوعٍ ساعِرْ
لكنَّ الحلمةَ لا تسعفُهُ
إلا بنقاطٍ من دمْ

يتلوها قيءٌ وعدمْ
فالعسكرُ من أبطالِ البعث
المنكوسِ الداعرْ
في نَهَمٍ ساعِرْ
امتصوا حتى لبنَ الأمّ
فلما شبعوا خنقُوا الأمّ
ووأدوا الطفلَ بقاعِ النهر

• • •

أما ألسنةُ الأحرارِ فتقطعْ
وعيونُ الأطهارِ فَتُقْلَعْ .

• • •

والأرضُ تضيقُ بما رحُبَتْ
حتى يصبحَ حلم الأحلامِ
الموتُ بلا ألمٍ
يطلبهُ الناسُ
« بحقِ البؤسِ ، وحقِّ الذلّ
تعالَ .. »
فلا يأتي .

• • •

حتى الأيامُ غدًا ..

ستحاولُ أن تنتحرَ فلا تقدِرْ
تنتحرَ لتخْلُصَ من عارٍ
موهومٍ مكذوبْ
ألصقَهُ فيها الناسُ الكذَبَةْ
إذْ قالُوا : عارُ الأيامْ
ظلم الأيامْ
غدر الأيامْ
مع أنّ الأيامَ من العارِ بريئةْ
العارُ الداعرُ فيمنْ سبُّوا الأيامْ
فيمن شحنوا الزمنَ الناصعَ بمخازيهمْ
فيمن قالوا :
«ليسَ العدلُ أساسَ الملك ،
إنَّ المُلْكَ بديلُ العدلِ وفوق العدل»

• • •

يا سلمى ...
عصرُكِ .. عصرُ الوثنِ الإنسانْ
عصرُ الحيوانْ ..
وإذا ما عبد الإنسانُ الإنسانْ
كان المعبودُ هو الشيطانْ
والعابدُ فى الدركِ الأسفلِ
كالحيوانْ ...

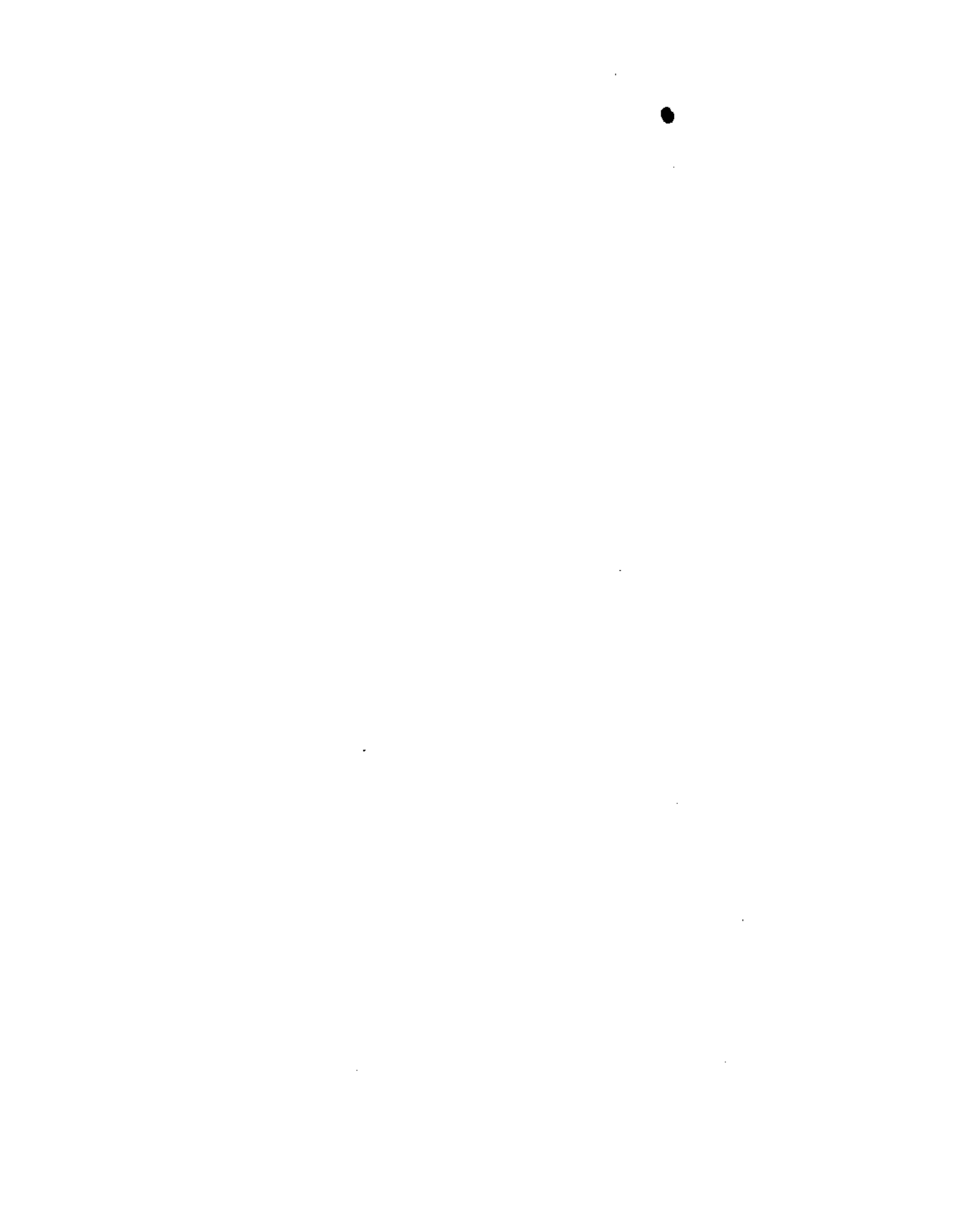
فالعقـــلُ مهيـــنْ
والـرأىُ ســجينْ
والحكـــمُ لعيـــنْ
واللـــصُّ الفـاجـرُ يدعـى « خيـرَ أمينْ »
وعـــدو الحـرية يدعـى « عبد الله المؤمن »

● ● ●

يا ســـــــلمى ...
بـــدأ اليـــومُ الموعـــودُ المنكـــودْ
هـــذا يـــوم الفـــزع الأكبـــرْ
هـــذا يـــومُ الفـــزع الأكبـــر
يـــومٌ يا ســـلمى ..

[إلى هنا انتهت اليوميات
و واضح أن اليوميـــة
الســـابقة ناقصـــة لـــم
يكملها مقـــداد]

(١) يروى أن هارون الرشيد رأى سحابة سائرة فقال : « أمطرى أنى شئت ، فسيأتينى خراجك » .



تذييل لا بد منه

عودا على بدء أقول إن هذه المذكرات وصلت إليّ عن طريق الطالب/ محمد مصطفى يقينى أحد تلاميذى الباكستانيين ومعها الرسالة الآتية أنقلها حرفيًا :

جناب أستاذنا العظيم :

أحييك تحية الإسلام مباركة طيبة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .... وبعد :

فهذه «اليوميات» أرسلها إليكم بعد أن سلمتنى إياها شقيقتى «عظمى» وطلبت منى أن أسلمها لعربى مسلم يقدر على طبعها ونشرها . وقد توسمت فيكم القدرة على القيام بهذه المهمة . وهناك بيانات ومعلومات ترتبط بهذه اليوميات أوجزها فيما يأتى :

١ـ لم يكمل مقداد اليومية الأخيرة (٣١ أغسطس)

٢ـ ابتداء من ٢٥ من أغسطس كان يكرر دائماً لشقيقتى أنه يشعر أن منيته قد اقتربت .. وكان يذكرها دائماً بوصيته بضرورة تسليم اليوميات لأحد العرب بعد موته .

٣ـ أصيب مقداد مساء ٣١ من أغسطس وهو يكتب يوميته الأخيرة بإغماء شديد ، فالتقطت شقيقتى اليوميات وقبل تبليغ الطبيب المسئول عما أصاب «مقداد» كانت قد أخفت اليوميات تحت الدرج الأخير من أحد

دواليب المطبخ (وقد سقط بعض الزيت على الورقات العشر الأولى فعذرة).

٤ــ قرر الأطباء ضرورة بتر الساق اليمنى لمقداد، وأجريت عملية البتر على يد الطبيب الفلبينى، يساعده طبيب مصرى شاب (أخبرتنى شقيقتى باسمه ولكنى نسيته) ولم تحضر شقيقتى إجراء العملية.

٥ــ فى فجر الثلاثاء ٤ من سبتمبرــ بعد إجراء العملية بساعات فاضت روح مقداد، ونقلت الجثة بسيارة من سيارات الجيش العراقى فى الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه.

٦ــ تركت شقيقتى عظمى الكويت يوم الاثنين (١٠من سبتمبر ١٩٩٠) وصلت إلى بلدنا «لاهور» فى اليوم التالى وكنت فى لاهور لاستقبالها، وسلمتنى المذكرات. وهأنذا أصدّرها لكم من إسلام آباد يوم السبت ١٥من سبتمبر ١٩٩٠.

نفع الله بجنابكم الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

المخلص: تلميذكم
محمد مصطفى يقينى

ولم يكن محمد يعلم أننى أعمل حالياً بجامعة الملك فهد بالظهران، لذلك أرسل اليوميات والخطاب على عنوانى بالقاهرة. وقد قام ابنى الأكبر الذى يقيم بعنوانىــ بإرسال هذه اليوميات إلىّ بالبريد السريع، فتسلمتها فى الظهران صباح يوم الثلاثاء ٢٥من سبتمبر ١٩٩٠.

جابر قميحة

ملحمة النسر واليمامة

مهداه للصديق الذى كان «....» ثم ــ واأسفاه ــ صار «....».

١. لــكَ الــوكْــرُ والمجْدُ والــراسـيــاتُ
لــكَ الشُّــخُــبُ والأنجــمُ الــبــاذِخَــةْ

٢. وعــنــدَ انــقــضــاضكَ عــصفٌ عتىٌّ
تُـــروّعُ مـــنـــه الـــذُّرا الــبــشــامـــخَـــةْ

٣. وإمّــا زَعَــقْــتَ فـصوْتُ الــمـصـيـر
يـــزلـــزل أطـــوادَهـــا الـــراســـخَـــةْ

٤. لــكَ السّــهلُ والنجْدُ -غير الفضاء-
مـــديـــدَ الـــرّحـــاب، رحـــيـــبَ الــمـدى

٥. ومــن يــتــقــحّــمْ عــلــيــك الــجِــواءَ
فــلــيـــس لــه مــنــك غــيــرُ الــردى

٦. ويــغــدُو هــبــاءً شريــدَ الــدمــاءِ
ويـــصـــبـــحُ درْســـًــا لمـــنْ هــدّدا

(*) هذه القصيدة لا علاقة لها بأحداث الكويت الدامية، فقد نظمتها فى ١٩٩٠/٧/١٥ فى القاهرة وصاحب الفضل فيها صديق (أو من كان صديقا) تركته مثال الرجولة والأريحية وعفة النفس والإباء ولكن شدته مطامحه أو مطامعه إلى الهبوط إلى سفح النفاق والكذب والخداع. والجو العام للقصيدة يتسع لنكبة الكويت وأحداثها وكأنها كانت إرهاصا بما سيرتكبه صدام من مآثم وجرائم ضد دولة عربية مسالمة.

٧. وتحصدُ رزقكَ أنَّى تَشاء
ولكنْ من القِمَمِ العَالِية
٨. مليكا قويا مهيبَ الجناحِ
تهونُ عليك القُوى العاتيه
٩. فَعرْشُكَ حيثُ يكْونُ العلاءُ
وغيرُكَ للسفحِ والهاويه
١٠. وعشت عيوفًا كريمَ المقامِ
رفيعَ المرامِ ... أبيَّ الشّممْ
١١. لذلك صرت «شعارَ» الجيوشِ
يُرفرفُ فوق نواصي الأُمَمْ
١٢. ورمزَ الكفاح السّعيرِ المريرِ
إذا دِيسَ منها بأرضٍ حَرَم

● ● ● ●

١٣. كذلك كنت، فكيفَ ... هويت
مُغبرا ... تجورُ على عُشِّها
١٤. وتزحفُ كاللصّ في ليلها
لتستلَّ بالغدرِ من قشّها :
١٥. نخاعَ صغارٍ ضعافٍ رقاقٍ
تمتّعنَ بالدفءِ في ريشِها
١٦. وكانت تعانقُ شوقَ الحياةِ
ويَهزَجُ في جانبيْها الزَغَبْ

١٧. فلما هبطتْ كحلمٍ كئيبٍ
يسدُّ عليها دروبَ الهربْ
١٨. تهرَّبَ من شفتيها الهديلُ
وأخرسَها منك سيفُ الرهَبْ
١٩. فيا ويلها إذْ دهاها الغشومُ
ومخلبُهُ القاتلُ .. الأعقفُ
٢٠. نهومٌ بزرعِ الأسى والجراحِ
خسيسٌ بغيٍّ الهوى مجحفُ
٢١. فأمتع ما يشتهيه الدماءُ
إذا ما الجراحُ بها تنزفُ

● ● ● ●

٢٢. ويطلُعُ فجرٌ مريضُ الضياءِ
على «صَوْصَواتِ» الأسَى والألَمْ
٢٣. وبعضٍ من الريش فوق الغصونِ
وبعضٍ من القشِّ يعلوهُ دمْ
٢٤. وفى السفحِ تشهدُ أيْكاً كئيبا
ضريرَ الفؤادِ .. حُطامًا أصمْ
٢٥. ونسرًا تخلّىَ عن الناطحاتِ
ليهبط منها ... على قاعِها
٢٦. ويزحفُ زحفَ الأفاعى اللئامِ
كأنّى به صيغَ من طَبْعِها

٢٧. وينزلُ ضيفًا عزيزا عليها

فتكرمُ مثْواهُ فى ربْعِها

٢٨. ألم ترهُ باحثًا فى الترابِ

عن الدود أو عن بقايا الرمَمْ

٢٩. أسيرَ الهبوطِ الذميمِ الحقير

ذليلَ الجناح كسيحَ الهممْ

٣٠. فما عادَ يُدعى «مليكَ الطيور»

ولكنْ ... عدوَّ العلا والقممْ

إلى دون كيشوت العراق

نقلت وكالات الأنباء أن صدام حسين يعيش فى وهم كبير اسمه «الانتصار فى أم المعارك» وأنه أنعم بترقيات عسكرية أخيرا على كبار ضباطه الذين انتصروا فى الحرب !!

لا تصدقهم فأنت البطل
يا زعيما ما اعتراه الفشلُ

وستبقى للبرايا مثلا
مذهلا . بل أينَ منك المثل ؟

فوربِّ الخلق قد جئت الذى
عجزتْ عن أن تليه الأُوَلُ

دوختْ ألغازُك الدنيا فما
فهمتْ ماذا تريدُ الدولُ

مرة تدعو لسلم عادل
بينما للحرب أنت المشعلُ

فهزمت الشمس فى مشرقها
وعلى كفيك مات الأمل

وجرحت الحق جرحا غائرا
ما أراه فى غد .. يندمل

(*) نشرت فى مجلة (الشرق) السعودية الأسبوعية فى ١٩٩٢/٢/٧.

وبحور الشعر أيضا رُزئت
وابتلاها بالكساح الشلل
وأنا الشاعر فيها .. غارقٌ
غاب من أفقي الهدى المؤتمل
أين مني وافر أو رجز
يا خفيف الظل أين الرمَلُ ؟
فسعى نحوي جريحا صارخا
بعدْ أن ضاقت عليه السبل
كل شيء صار مختل الرؤى
بين من ضلوا ومن قد قُتلوا
انظر الأكرادَ في محنتهم
أرضهم ما عادَ فيها منزلُ
فرقتهم هجرة قاتلةٌ
كلهم فيها شريدٌ مُذْهَلُ
وثكالى وصغار يتمت
وعذارى وشيوخٌ عُزّل
بين شوك وجليد قاهر
تركوا مهد الصبا وارتحلوا
ومن الجوع هوى راحلهم
ما حماهم شاطىء أو جبل
كيف يحميهم وأنت البطل
ونشاميك لهم ما انتقلوا

أينما حلّوا فهم خلفهمو
ما لهم إلا الردى والأسَلُ
كربلاءٌ إن تكن قد سبقتْ
ذكرُها عارٌ ودمع وَجِل
فابن ذي الجوشن قد عاد وفي
كفه مليون رأس يحملُ
من دمار وخراب منتش
ودموع ودماء .. ثمل

• • •

آه يا بغدادُ كم فخرَتْ بما
في مغانيك العلا والأمل
كان للدين بها .. منزلةٌ
ولمن رام علوما منْهلُ
فجيوشُ الحق منكِ اندفعتْ
وبيمناها كتابٌ مُنْزَلُ
تزرع الدنيا ضياءً وهدى
برجال ما غشاهم زلل
فإذا الحق انتصارٌ باهرٌ
وقُوى الظلم فلول ذُلُلُ
آه يا بغداد قد صرت إلى
دركٍ لا يرتضيه السَّفِل

لا أرى إلا حطاما دارسا
فيه لليوم الصوادى طلل
والفرات العذب أضحى مالحا
ماؤه فيه الردى والعِلل
قد بكاه «دجلةُ» الخير دما
صبغهُ حزن وطين وَحِل
لم تعودى «دار سلم» إنما
للأفاعى الرقش أنت المعقل
يا نسيبا وحسيبا قل لهم
«هل أتى مثل فعالى الأوّل ؟
ما خسرتُ الحرب لكن «عركة»
بعدها نصرٌ عزيزٌ مقبِلُ
فإذا ما كنتُ أمسًا ليثها
وأنا اليومَ وديعٌ حَمَلُ
وإذا ما قلتُ قبلا «ألف لا»
وأنا اليومَ لهم ممتثل
فالذكى الفذ من يبدو لهم
فى لبوس يقتضيه «العَمَلُ»
وقريبا سوف أمضى قدما
بالنشامى جاحما لا يُهمل
فكفاكم ما أرى من حسد
أوَ فيكم مثل شخصى بطل ؟!

الظهران : يناير ١٩٩٢

الشـــــاعر

(●) دكتور جابر قميحة (والاسم الثلاثى : جابر المتولى قميحة).

(●) من مواليد مدينة المنزلة دقهلية بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٣٤.

(●) أتم دراسته الأدبية بالحصول على الماچستير ثم الدكتوراه فى الأدب العربى الحديث من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

(●) درس القانون وحصل على ليسانس الحقوق والدبلوم العالى فى الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

(●) عمل أستاذا مشاركا للأدب العربى الحديث بكلية الألسن ـ بجامعة عين شمس بالقاهرة. وحاليا بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران بالمملكة العربية السعودية.

(●) عمل أستاذا زائرا بجامعة : يل (YALE) بولاية كنكتكت بالولايات المتحدة لمدة عام (١٩٨١ ـ ١٩٨٢).

(●) عمل أستاذاً معارا بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بباكستان لمدة خمس سنوات (١٩٨٤ ـ ١٩٨٩).

(●) عضو فى اتحاد الكتاب بمصر. وعضو فى رابطة الأدب الإسلامى العالمية.

(●) له عشرات من الكتب والبحوث المنشورة فى المجلات المصرية والعربية والإسلامية. **وأهم كتبه.**

١ ــ منهج العقاد في التراجم الأدبية .
٢ ــ أدب الخلفاء الراشدين .
٣ ــ أدب الرسائل في صدر الإسلام .
٤ ــ صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم .
٥ ــ التقليدية والدرامية في مقامات الحريري .
٦ ــ الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود .
٧ ــ التراث الإنساني في شعر أمل دنقل .
٨ ــ في صحبة المصطفى .
٩ ــ المدخل إلى القيم الإسلامية .
١٠ ــ المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق .
١١ ــ الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف .
١٢ ــ لجهاد الأفغان أغني (ديوان شعر) .

وله تحت الطبع:

١ ــ في رحاب التراث العربي .
٢ ــ لله والحق والحرية (ديوان شعر) .

رقم الإيداع ٣٥٧٠ / ٩٢

ISBN: 977 — 00 — 3165 — 8

عربية للطباعة والنشر

١٠ ، ٧ شارع السلام — أرض اللواء المهندسين

ت: ٣٤١٩٠٩٨

الفهـــــرس